

ΗΑΝΑ

ΑΗ ΧΙΣ

مجلة شكرية

عدد: 227 Issue No:

شهر أيار May 2026

نور يسوع المسيح

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619, Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الصعود الإلهي المقدس

أنت صعدت بمجد أيتها المسيح إلهنا. وفرحت تلاميذك بموعده الروح القدس
إذ أيقنوا بالبركة أنك أنت هو ابن الله المنقذ العالم.



١٤ - ٥ - ٢٠٢٤ ش ، الواقع في : ٢٧ - ٥ - ٢٠٢٤ غ

في النفس والجسد معًا. وهذا ما يُبرزه القديس كيرلس الإسكندري بقوة، إذ يقول: «حيثما يظهر يسوع المخلص، هناك يحضر الخلاص. فإن رأى متى العشار جالسًا عند موضع الجباية، لا يجعله تلميذًا فحسب، بل رسولًا وكرارًا أيضًا. وإن وجد إنسانًا مطروحًا بين الأموات، أقامه. ويمنح العميان البصر والنور، والصمّ السمع. وحين يسيرُ قرب البركة، لا ينظر إلى الأبنية، بل يقصد شفاء المرضى.» (أقوال القديس كيرلس) وكون الإنسان مصابًا «بجرحٍ عظيم» أي مريضٌ بالنفس والجسد فإنَّ ربنا يسوع المسيح هو طبيب الإنسان كما يشهد بذلك صاحب المزمور قائلًا: «باركي يا نفسي باركي يا نفسي الرب، وكُلُّ ما في باطني لِيُبَارِكَ اسْمُهُ الْقُدُّوس. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ.» (مزمور ١٠٢: ١-٣). وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ الربَّ لا يقتصرُ عمله على غفران الخطايا، أي الشَّرِّ الأخلاقي الذي هو الخطيئة، بل يشمل أيضًا شفاء الفساد الذي أصاب الطبيعة البشرية نتيجة الخطيئة الدخيلة غير الأصلية.

لقد أمر ربنا يسوع المسيح المخلع قائلًا له: «قُمْ، احمِلْ سَرِيرَكَ وَاَمْشِ» (يوحنا ٥: ٨). ويُفسِّرُ يوحنا الذهبي الفم هذا القول الإلهي مُبيِّنًا أَنَّ المسيح لم يكتفِ بأن يأمره بالنهوض فقط، بل أمره أيضًا أن يحمل سريره، لكي يكون الشفاء ظاهرًا للجميع، فيتأكد الناظرون أنَّ ما جرى ليس وهمًا ولا خداعًا، بل معجزة حقيقية مُعلنة. أمَّا القديس كيرلس الإسكندري فيُبرزُ البُعد اللاهوتي العميق لهذا الحدث، فيقول: «إنَّ للمسيح سلطان الأمر، وهو في ذاته البرهانُ على القوة الإلهية. لذلك لم يُصلِّ من أجل شفاء المريض كما يفعل الأنبياء، لئلا يُظنَّ أنه واحدٌ منهم، بل أمر بسلطانٍ إلهيٍّ، كربِّ القوَّات، فتمَّ الشفاء بكلمته.» حقًا، إنَّ المعجزة الحقيقية، أي شفاء المخلع، لم تكن خيالًا ولا تمثيلًا، بل عملاً إلهيًا حقيقيًا تمَّ بسلطان. فإنَّ المسيح لم يصنعها كأحد الأنبياء الذين يتضرَّعون ويصلُّون، بل كربِّ القوَّات، الأمر

يهتفُ مرثم الكنيسة قائلًا: «في أسطُوان (رواق) سلیمان كان مَرَضِي كَثِيرُونَ مَطْرُوحِينَ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَإِنَّهُ وَجَدَ هُنَاكَ فِي انْتِصَافِ الْعِيدِ مُخْلَعًا طَرِيحًا مُنذُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَهَتَفَ نَحْوَهُ بِلَهَجَةٍ سَيِّدِيَّةٍ: أَتَوَثِّرُ أَنْ تَصِيرَ مُعَافِي؟ فَأَجَابَ السَّقِيمُ: يَا رَبُّ لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ لِكَيْ إِذَا تَحَرَّكَ الْمَاءُ يُلْقِيَنِي فِي الْبِرْكَةِ، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: ارْفَعْ سَرِيرَكَ وَاظْهَرْ إِنَّكَ قَدْ صِرْتَ مُعَافِي فَلَا تَعُدُّ تُخْطِئُ. فَيَا أَيُّهَا الرَّبُّ بِشَفَاعَاتِ الْوَدَّةِ الْإِلَهِيَّةِ أَرْسَلْنَا لَنَا رَحْمَتَكَ الْعَظْمَى.» (من خدمة أحد المخلع - البندكستاري) أيها الإخوة المحبوبون بالمسيح، أيها المسيحيون الأتقياء،

إن الشافي الأمراض والداحض الآلام إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، قد جمعنا اليوم في الأحد الثالث بعد الفصح في هذه الكنيسة الجميلة لرعيتنا الرومية الأرثوذكسية الحديرة بكل مديح في مدينة الرينة لكي بشكر نعيِّد لأعجوبة شفاء الإنسان المخلع التي ذكرها القديس البشير يوحنا الإنجيلي.

نُعيِّدُ في قراءة إنجيل اليوم بين أمرين: الأول وهو الإنسان المخلع الذي كان مريضًا لمدة ثمانية وثلاثون سنة يتأمل ويرجو شفاءه بقوة الله: «لأنَّ مَلَاكًا كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلًا بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ.» (يو ٥: ٤)؛ كما يقول الإنجيلي يوحنا. والأمر الثاني: هو حضور المسيح عند موضع البركة الغنمية قائلًا للإنسان المخلع: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِيَنِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرٌ.» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمْ. احمِلْ سَرِيرَكَ وَاَمْشِ.» (يوحنا ٥: ٦-٨).

وبحسب تعليم الآباء، فإنَّ المسيح لم يختَر هذا المخلع صدفةً من بين جموع المرضى، بل قصديًا، لكي يكشف حال الإنسان كله، إذ إنَّ الطبيعة البشرية قد أُصيبت بجرحٍ عظيم. وفي الوقت عينه، يُعلن أنه هو، ابنُ الله وكلمته، الطبيبُ الإلهيُّ الوحيد، القادر على شفاء هذا الجرح،

إعادة وتكرار الخطيئة التي جلبت الشلل والكساح النفسي والجسدي. إن الخطايا أيها الإخوة الأحبة تُغفر إذا كانت التوبة صحيحةً وصادقةً لأن «القلب المنكسر المتواضع لا يردله الله.» (مز ٥٠: ١٩) كما يقول المزم. ولكن تبقى سمات وعلامات الخطيئة في النفس كما تبقى أيضًا في الجسد بعد شفاء الجروح، كما يقول أب الكنيسة العظيم القديس أناسيوس: إن التائب يتوقف عن عمل الخطيئة ولكن تبقى ندبات وآثار جروح الخطيئة ظاهرة، لهذا فإن القديس إيسيدوروس البيلوسوتي يقول: بعد توبتك واعتراك امضي واسلك بخوف وحذرٍ من الخطيئة لأنه حتى لو شُفيت فإن الندبات أي «آثار جروح الخطيئة» تُظهر أن النفس قد جُرحت من أحد الأهواء.

وبعبارةٍ أخرى، فإن النفس، بعد السقوط والانتكاسة، تقسو شيئًا فشيئًا، وتغدو التوبة عليها أثقل فأصعب. وهذا ما يشرحه القديس ثيوفيلكتوس البلغاري، إذ يقول إن من لا يُصلح نفسه بعد التأديب الأول، يقودها إلى حالٍ أشد قساوة، إذ يصيرُ عدم الإحساس ومُردِّيًا. لذلك، أيها الإخوة، فلنلتجئ بتضرعٍ إلى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي أقام الموتى منذ الدهر، ولنَهتف مع المرثم قائلين: «أيها المسيح، كما أقمَت المخلَع، اشفِ نفسي المخلَع بالمعاصي، وسهِّل لي السلوك في سبيلك المستقيمة». آمين.

البطريك ثيوفيلوس الثالث بطريك المدينة المقدسة أورشليم المسيح قام، حقًا قام مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الأُبُويَّةِ



بسلطان، الذي تتمُّ الأمورُ بكلمته. وهذه هي الحقيقةُ بعينها: أن يسوع المسيح: «هو ملكُ الملوك وَرَبُّ الأربابِ، الَّذِي وَحَدَهُ لَهُ عَدَمُ المَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنِي مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ.» (١ تيموثاوس ٦: ١٥-١٦) كما يقول الرسول بولس.

إنَّ هذه الحقيقةُ تُكرَّرُ بها وتعترفُ بها بقوةِ كنيسةِ المسيحِ المقدَّسةِ في هذا الزمانِ الحاضرِ، الذي هو عيدُ الأعيادِ وموسمُ المواسمِ، أي الفصحِ الجيدِ، قيامَةُ مخلصنا يسوع المسيحِ. ففي هذا العيدِ تعلنُ الكنيسةُ في صلواتها وتراتيلها قائلةً: «المسيحُ فصحُ جديدِ، وذبيحةُ حياةٍ، حَمَلُ اللهِ الرَّافِعِ خطيئةَ العالمِ». كما يقول مرثم الكنيسة.

«وبعدَ ذَلِكَ وَجَدَ يَسُوعُ «المخلَع» فِي الهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلَا تُخْطِئُ أَيضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشْرٌ» (يوحنا ٥: ١٤)، ويفسِّرُ القديس كيرلس الإسكندري أقوالَ الرَّبِّ يسوعِ إذ يقول: «يُعَلِّمُ يسوعُ بهذه الأقوالِ أنَّ اللهَ لا يكتفي بأن يُدخِرَ (يُحزِّن) تعديتِ الإنسانِ إلى يومِ الدينونةِ العتيدةِ، بل يُوبِّخُ أيضًا الذين ما زالوا يعيشون في الجسدِ، وذلك قبل مجيء يومِ الربِّ العظيمِ الذي فيه سيدين الجميع. غير أننا حين نعثر ونُحزِنُ اللهَ، كثيرًا ما نُصابُ بأذىٍ شديدٍ، إذ نجني في ذواتنا ثمارَ خطايانا.»، وهذا ما يشهد له الحكيم بولس صارخًا. «مَنْ أَجَلَّ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضَعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْتَدُّونَ. لِأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَّا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، نُوَدِّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لَا نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ.» (١ كور ١١: ٣٠-٣٢).

بحديثِ المسيحِ «هَآ أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلَا تُخْطِئُ أَيضًا» (يو ٥: ١٤) فإنَّ يسوعَ يحذِّرُ المخلَع الذي شُفِيَ وصار مُعافًا من الخطر العظيم الذي هو الكبوة والانتكاسة أي الرجوع والعودة إلى الحياة الخاطئة أو بالأحرى



في منجم الذهب، ما كان أحدٌ ليقبل أن يحتقر حتى أصغر عرقٍ فيه، وإن كان البحث عنه يسبب تعبًا كثيرًا. وهكذا أيضًا في الكتب الإلهية، ليس بلا ضرر أن تتجاوز ياءً واحدة أو نقطةً صغيرة (keraiā) (κραια). يجب أن تُفحص كلُّ الأمور. (١).

إنَّ الرُّوحَ القُدُسَ قد قال كلَّ شيءٍ، ولا شيءٍ فيها بلا قيمة. فانظر إذًا ماذا يقول الإنجيلي هنا أيضًا: «هَذِهِ أَيضًا آيَةٌ ثَانِيَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ لَمَّا جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ.» (يوحنا ٤: ٥٤) (٢).

ولم يُضَفْ، بالطبع، كلمة «الثانية» هكذا ببساطة، بل يُشدَّد أكثر

على ما هو أعجب في شأن السامريين. يُظهر أنه، على الرغم من حدوث آية ثانية، لم يبلغ الذين رأوا كثيرًا وتعجبوا (أي اليهود) سُمُو الذين لم يروا شيئًا البتة (أي السامريين). وبعد هذه الأمور كان عيدٌ من أعياد اليهود.

أي عيد؟ أظنه عيد العنصرة، فصعد يسوع إلى أورشليم. وكان يذهب إلى المدينة في الأعياد بانتظام. فمن جهةٍ، لكي يظهر أنه يعيِّد معهم، ومن جهةٍ أخرى، لكي يجذب إليه عامَّة الشعب. لأنَّه في هذه الأيام كان يحدث توافدٌ أكبر من البسطاء. وفي أورشليم بركة الغنم، واسمها

بالعبرانية بيت حسدا، ولها خمسة أروقة.

وكان فيها مطروحون جمهورٌ كبيرٌ من المرضى: عُرج، وعميان، ويابسو الأطراف، ينتظرون اضطراب الماء. فما معنى هذا النوع من الشفاء؟ (٣)

فإلى أيّ سرٍّ يلمّح؟ إنّ هذه الأمور لم تُكتَب ببساطة أو على سبيل المصادفة، بل إنّها تُصوّر وتُرسَم مثالاً مُسبقاً لما يتعلّق بالمستقبل. وبهذه الطريقة الغريبة جدًّا، إذ كانت تحدث على نحو غير متوقَّع كليًّا، لئلا تُضعف في نفوس الكثيرين قوّة الإيمان. فما هو إذا الذي تُصوِّره؟

كان يقصد أن يمنح المعمودية التي لها قوّة كثيرة ونعمة عظيمة، المعمودية التي تغسل جميع الخطايا وتُحيي الأموات. فكما في صورة، تُرسَم هذه الأمور مُسبقاً في البركة، وفي أمور كثيرة أخرى أيضًا. وقد أعطى أولاً الماء الذي يزيل أدران الأجساد، وهي ليست نجاسات حقيقية بل تبدو كذلك، مثل التنجّسات الناتجة عن الدفن، ومن البرص، وأمثال هذه.

ويمكن للإنسان أن يرى في العهد القديم أيضًا علاجات كثيرة أخرى تمّت بالماء، لهذا الغرض. (٤) لكن لنعد إلى موضوعنا. أولاً إذاً، كما قلت سابقاً، جعل الشفاء يتمّ بالماء من النجاسات الجسدية، ثم من أمراض أخرى متنوّعة.

لأنّ الله، إذ أراد أن يقودنا إلى عطية المعمودية، لا يشفي النجاسات فقط بل الأمراض أيضًا. لأنّ الصور الأقرب إلى الحقّ، سواء ما يتعلّق بالمعمودية أو بالألام الخلاصية أو بسائر الأمور، كانت أنقى من الصور الأقدم. لأنّه كما أنّ المقرّبين من الملك هم أبهى من الأبعد عنه، هكذا يكون الأمر أيضًا بالنسبة إلى الرموز.

وكان الملاك، إذ ينزل، يحرك الماء ويعطيه قوّة شفائية، لكي يتعلّم اليهود أنّ ربّ الملائكة يستطيع، بالأحرى، أن يشفي جميع أمراض النفس. ولكن كما أنّ القوّة الشافية هنا لم تكن خاصية طبيعية للماء، لأنّه لو كان الأمر كذلك لكانت تظهر على الدوام، بل كانت تظهر بفعل الملاك، هكذا أيضًا عندنا لا يعمل الماء وحده فحسب، بل حين ينال نعمة الرّوح القدس، عندئذٍ يحلّ جميع الخطايا.

وكان حول هذه البركة مُضطجعًا جمعٌ كثير من المرضى: عميان، وعُرج، وبُرس، ينتظرون تحريك الماء، وكان المرض يصير عائقًا لذلك الذي يريد أن يُشفى. أمّا الآن فكلّ واحد هو سيّد في أن يتقدّم. لأنّه لا يحركها ملاك، بل ربّ الكلّ هو الذي يتمم كلّ شيء، وليس ممكناً للمريض أن يقول: «بلّ بينمّا أنا آتٍ، ينزلُ قُدّامي آخرُ» (يوحنا ٥: ٧).

بل حتّى لو جاءت المسكونة كلّها، فالنعمة لا تنفذ، ولا تُستهلك، بل تبقى هي هي، كما كانت من قبل، لا تتغيّر. وكما أنّ أشعة الشمس تعطي نورها كلّ يوم ولا تُستنفد، ولا يقلّ لمعانها من فيض عطائها، هكذا وبالأكثر طاقة الرّوح القدس لا تنقص، مهما كان الجمع الذي يمتلئ من فيضها الإلهي.

كان هذا يحدث لكي يؤمن أولئك الذين تعلّموا أنّه يمكن بالماء أن تُشفى أمراض جسدية كثيرة، وقد تمرّسوا في هذه المعرفة زمانًا طويلًا،

يؤمنوا بسهولة أنّه يستطيع أن يشفي أمراض النفس أيضًا. ولماذا، أخيرًا، ترك يسوع جميع الآخرين وجاء إلى هذا المفلوج الذي له ثمان وثلاثون سنة، ولماذا سأله «أتريد أن تبرأ؟» (يوحنا ٥: ٦).

ليس لكي يعلم، فهذا كان غير لازم، بل لكي يُظهر صبر المفلوج، ولكي نفهم أنّه لهذا السبب ترك الآخرين وذهب إلى ذلك. «أجابهُ المريضُ: «يا سيّد، ليس لي إنسان يُلقيني في البركة متى تحرك الماء. بلّ بينمّا أنا آتٍ، ينزلُ قُدّامي آخرُ» (يوحنا ٥: ٧). فلماذا سأله إن كان يريد أن يصير مُعافي.

لكي نعرف هذه الأمور. لم يقل له: «أتريد أن أجعلك تبرأ؟» لأنّه لم يكن بعدُ يتصوّر عنه شيئًا عظيمًا؛ بل قال: «أتريد أن تبرأ؟» فيندش هذا المفلوج الصبور. إذ كانت به العلة منذ ثمان وثلاثين سنة، وكان كلّ سنة يرجو أن ينجو منها، فبقي هناك دائمًا ولم يتعد. أفلم يكن صبره، ألم تكن الأمور الماضية، إن لم نقل المقبلة، كافيةً لتدفعه إلى ترك ذلك الموضوع؟

تأمل، أرجوك، كيف كان طبيعيًا أن يكون المرضى الآخرون أيضًا هادئين؛ لأنّه لم تكن ساعة تحريك الماء معروفة. وعلى الأقل، كان العُرج والعُجّز يستطيعون أن يلاحظوا. أمّا العميان الذين لا يُبصرون، فماذا كانوا يفعلون؟ لعلّهم كانوا يُدركون ذلك من الصوت.

فلنشعر إذاً، يا أحبائي، بالحلل، ولننّ من أجل كثرة لا مبالانا. لقد بقي ذاك الرجل ثمانًا وثلاثين سنة في المكان نفسه، ومع أنّه لم ينل ما كان يريده، لم يتعد. ولم يكن ذلك بسبب لا مبالاته هو، بل لأنّ الآخرين كانوا يعوقونه ويُقصونه، إذ كانوا يتقدّمون عليه.

ومع ذلك لم يكن يبأس. أمّا نحن، فإن بقينا عشرة أيّام في موضع ما، وتضرّعنا من أجل أمرٍ ولم ننله في النهاية، سرعان ما نملّ ونفتر عن إظهار الغيرة نفسها. بل إنّنا، في تعاملنا مع الناس، قد نلازمهم مدّة كهذه، محتلمين مشقّات الخدمة، وقائمين بأعمالٍ شاقّة، ومع ذلك كثيرًا ما لا يتحقّق رجاؤنا.

أمّا عند ربّنا، حيث سننال حتمًا أجرًا أعظم من أتعبنا؛ «فالرجاء»، كما كتبت، «لا يُخزي»؛ فإننا لا نُظهِر الغيرة اللائقة في ملازمتنا له. فأبى عقاب يليق بهذا الموقف؟ حتّى ولو لم يكن ممكناً أن ننال شيئًا، أفما كان ينبغي أن نعدّ هذه المحاوراة الدائمة معه أمرًا مستحقًا لخيرات لا تُحصى؟ أمّتعبة هي الصلاة الدائمة؟ ولكن آية فضيلة ليست متعبة؟ وهذه هي الحيرة الكبرى: أنّ اللذة قد اقترنت بالشرّ، بينما الألم اقترن بالفضيلة. ووكثيرون يتساءلون عن سبب ذلك. لقد أعطانا الله منذ البدء حياةً خاليةً من الهموم والأتعاب. لكنّ البطالة قادت إلى الفساد، فحسرتنا الفردوس.

ولهذا جعل حياتنا شاقّة، كأنّه يقول متبرّرًا أمام جنس البشر قائلاً: لقد وضعتكم في النعيم، لكنّ عدم الإيمان جعلكم أسوأ. لذلك أمرتكم أن تختبروا الألم والعرق. ولكن، لأنّ هذا الألم أيضًا لم يضبط الإنسان، أعطانا ناموسًا ذا وصايا كثيرة، واضعًا علينا، كما على الفرس الصعّب المراس، قيودًا وجُحْمًا.

وهكذا يفعل أيضًا مرؤضو الخيل. ولهذا صارت حياتنا شاقّة. إنّ الحياة التي بلا تعب تُفسد في العادة. وطبيعتنا لا تحتل البطالة، بل تميل بسهولة إلى الشرّ. فلنفرض أنّ الحكيم والفاضل لا يحتاجان إلى أتعاب، بل يُجزان كلّ شيء حتى وهما نائمان. فالراحة التي كانت سنشأ، كيف كنّا سنستخدمها؟ أما كنّا سننصرف بها إلى الحماسة والكبرياء؟

ولكن لماذا اقتزنت لذّة كثيرة بالشرّ، واقتزنت بالفضيلة تعب كثير وعرق؟ وأيّ فضل كان يكون لها، وأيّ أجر كانت تنال، إن لم يكن الأمر متعبًا؟ أستطيع أن أرىكم كثيرين يبغضون الزواج بطبعهم، ويتجنّبونه باشمئزاز.

أفسمي هؤلاء عفيفين، ونكلّهم، ونعلنهم على الملاء؟ كلاً. لأنّ العفة هي ضبط النفس والغلبة على اللذات بعد جهاد. وإنّ غنائم الحروب تكون أجد، عندما تكون المعارك قاسية، لا عندما لا يقاوم الخصوم.

كثيرون هم الكسالى بطبعهم. هؤلاء لا نسميهم فضلاء. لذلك فالمسيح، عندما ذكر ثلاثة أنواع من الخُصيان، ترك اثنين منهما بلا مكافأة، وكافأ واحدًا فقط بالملكوت. وأنا أقول لكم أيضًا لماذا يلزم وجود الشرّ. فمن هو صانع الشرّ سوى اللامبالاة الإرادية؟ وكان ينبغي أن يكون الأخيار وحدهم موجودين. فما هي علامة الصالح: اليقظة والسهر، أم النوم والشخير؟ ولماذا كان يبدو أمرًا صالحًا أن ينجح الإنسان بلا تعب؟

إنّك تورد اعتراضاتٍ كان يوردها أيضًا أهلُ الشرّ والنهم، الذين يظنون أنّ بطنهم إله لهم. فأجبي: أليست هذه أقوال أناس لا يُبالون؟ فإن كان هناك ملكٌ وقائدٌ جيش، وكان الملك نائمًا وسكران، بينما القائد، في تعبٍ وجهدٍ، ومنذ الساعة السادسة، يُقيم النصر، (قارن هذا بجهاد المسيح الظافر، الذي حقق النصر على عود الصليب). فلمن كنت تنسب الغلبة؟ ومن هو الذي يفرح بفرح النصر؟ (٥)

أترى أنّ النفس تميل إلى ذاك الذي تعبت معه؟ ولهذا أيضًا قرن اقتناء الفضيلة بالأتعاب، لأنّه أراد أن يُؤلف النفس معها.

ولهذا فإننا نُعجب بالفضيلة، حتى إنّ لم نمارسها، أما الشرّ، فمع كلّ حلاوته نحكم عليه. وإن سألت: لماذا لا نعجب بالذين هم صالحون بالطبع، أكثر من الذين صاروا صالحين بإرادتهم؟

فلأنّه من العدل أن يُفضّل من يتعب. ولماذا نتعب الآن؟ لأننا لم نحفظ تلك الحياة الخالية من التعب كما كان ينبغي. وإن دقق أحد النظر، وجد أنّ البطالة دائمًا كانت دائمًا تضرنا وتولد تعبًا كثيرًا.

وإن شئت، فلنغلق على إنسان في بيت، لنُشبع نومه فقط، من غير أن نسمح له لا أن يمشي ولا أن يُخرجه إلى العمل. بل ليفرح بالطعام والنوم، ليلهُو على الدوام. أفثمّة حياة أشقى من هذه؟

غير أنّ شيئًا هو أن تعمل، وشيئًا آخر هو أن تتعب. لقد كان في يدنا آنذاك أن نعمل بلا تعب. أيمكن ذلك؟ نعم، حقًا يمكن، وهذا ما أراد الله، لكننا نحن لم نحتمله. ولذلك أقامنا لنفلح الفردوس، محدّدًا لنا العمل دون أن يمزج به التعب.

لأنّه لو كان الإنسان يتعب منذ البدء، لما أضاف بعد ذلك التعب عقوبة. لأنّه ممكن للإنسان أن يعمل ولا يتعب، كما تفعل الملائكة.

ولكي تقتنعوا بأنهم يعملون، اسمعوا ماذا يقول: «المُفتدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرًا» (مزمو ١٠٢: ٢٠). أما الآن فإنّ ضعف القوّة يسبّب تعبًا كثيرًا. أما آنذاك فلم يكن الأمر هكذا. أما الذي دخل إلى راحته، «فقد استراح»، كما يقول، «من أعماله، كما الله من أعماله» (تك ٢: ٣). وهو هنا لا يعني البطالة، بل غياب التعب. لأنّ الله يعمل حتى الآن أيضًا، كما يقول المسيح: «أبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يوحنا ٥: ١٧). لذلك أنصحكم، بعد أن تطرحوا كلّ لا مبالاة، أن تغاروا للفضيلة. لأنّ لذّة الشرّ قصيرة، أما الحزن فدائم. أما الفضيلة، فعلى العكس، فرحها لا يهرم، وتعبها مؤقت.

إنّ الفضيلة تُريح عاملها حتى قبل نواله المكافأة، إذ تحفظه بالرجاء، أما الشرّ يعذب عامله، إذ يضغط على الضمير ويرعبه ويجعله مائلًا إلى الشكّ في الجميع. وهذه، بالحقيقة، أسوأ من أيّ تعب وعرق.

وحتى لو لم يكن في موضعها سوى اللذّة فقط، فأبى شيء أشدّ من هذه اللذّة؟ فهي في الساعة نفسها تظهر ذابلة، وتفتى وتهرّب قبل أن يمسك بها أحد، سواء قلت لذّة الجسد، أو الولائم، أو الأموال. فهي لا تكفّ عن الشبخوخة كلّ يوم. وإذا كانت اللذّة تستتبع الجحيم والعقاب، فمن يكون أحقّ بالثناء ممّن يطلبونها؟

فلنعرف هذه الأمور، ولنحتمل كلّ شيء من أجل الفضيلة. لأننا هكذا سنتمتع أيضًا باللذّة الحقيقيّة، بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبتته للبشر. معه للآب أيضًا وللروح القدس المجد إلى الدهور. آمين.

١) «ال keraia xeraiá» (كرايا) في اليونانية تعني أصغر علامة في الكتابة، أي أدقّ جزءٍ خطّي، وقد استعملها القديس يوحنا الذهبيّ الفم ليُظهر أنّ كلمة الله كاملة في كلّ تفصيل، فلا يسقط منها شيء، ولو بدا في أعيننا صغيرًا. وهكذا يُبيّن أنّ حتى أدقّ الإشارات اللغويّة تحمل قيمةً إلهيّة عميقة. كما ذُكرت في إنجيل متى: «فإبى الحقّ أقول لكم: إلى أنّ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ التَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.» (متى ١٨: ٥).

٢) يُبرز القديس هنا أنّ كلّ كلمة في الكتاب المقدّس لها معنى مقصود، لأنّ الروح القدس هو الذي نطق بها. ولذلك يتوقّف عند عبارة «آية ثانية» ليُظهر أنّها ليست مجرد تعداد، بل مدخل إلى فهم أعمق لطبيعة الإيمان، وكيف أنّ الذين رأوا آيات كثيرة لم يبلغوا إلى الإيمان الحقيقي، بخلاف الذين آمنوا ببساطة القلب.

٣) ورد في النص الكتابي «تحريك الماء» (يوحنا ٥: ٣-٤)، أما هنا فقد استعمل تعبير «اضطراب الماء» بحسب الأصل اليوناني، للدلالة على الحالة الظاهرة التي كان ينتظرها المرضى.

٤) ويمكن للإنسان أن يرى في العهد القديم أيضًا أمثلة عديدة لعلاجات تمت بالماء، كما في شفاء نعمان السوري حين اغتسل في الأردن، وفي مياه مارة التي صارت عذبة، وسائر التطهيرات التي ارتبطت بالماء كعلامة للشفاء والتقدّيس.

٥) الساعة السادسة، بحسب التقويم القديم، هي الساعة الثانية عشرة ظهرًا.



في انتصاف العيد اسقى نفسي العطشى من مياه العبادة الحسنة أيها
المخلص لأنك هتفت نحو الكل: من كان عطشاناً فليأت إليَّ
ويشرب. فيا ينبوع حياتنا أيها المسيح الإله المجد لك.

عِظَةٌ فِي نِصْفِ الْخَمْسِينَ

لَأَيُّبِنَا الْجَلِيلِ فِي الْقَدَيْسِينَ يُوحَنَّا الدَّهَبِيِّ الْقَم
رَيْسِ أَسَاقِفَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فِي قَوْلِهِ

«لَمَّا صَعِدَ الرَّبُّ إِلَى الْهَيْكَلِ فِي وَسْطِ الْعِيدِ»،
وَعَنْ مَلِكِي صَادِقٍ

بعض الثمر، وحين تذوقون حلاوتها، نجتهد أن نوقظ انتباهكم، لكي
تُسرعوا أنتم أيضاً بشوقٍ روحيٍّ إلى أشجارِ الآباءِ القديسينِ المثمرة.
لقد سمعنا منذ قليل في الإنجيل الإلهي قول الإنجيلي: «وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ
قَدِ انْتَصَفَ، صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ.» (يو ٧: ١٤). ولم
يمرَّ هذا الكلام في غير أوانه، بل إن قراءة الإنجيل اليوم في غاية
المناسبة، وهذه الرواية ملائمة لليوم، لأن قوة الكلمة ملائمة ومترابطة
مع هذا العيد الحاضر. فعندما بلغت مدته عيد المظالم نصفها، **صعد
يسوع إلى الهيكل**، أما عندما تكتمل مدته العيد، فلا يصعد إلى الهيكل
بل إلى السماء. ففي وسط العيد صعد يسوع إلى الهيكل. لكن عندما
يقول «العيد»، لا يقصد عيداً على طريقة اليونانيين أو اليهود، حيث
يسكر الناس ويلهون وينشدون أغاني فاحشة، ويرقصون ويرتكبون
صنوف القبائح؛ بل يقصد عيداً مقدساً يليق بالمسيحيين الحقيقيين،
عيداً لا سكر فيه ولا لهو، بل صلوات وتسابيح وابتهالات؛ لا تُسمع
فيه الأغاني الخليعة التي تُرخي الأجساد، بل الترانيم الإلهية التي تُقوي
النفوس؛ لا تُقام فيه رقصات كثيرة الالتواء، بل وثبات نفوس مقدسة
امتلات ابتهاجاً. وإن أردت أن تعرف أي نوع من الناس عندنا هم
الذين ينشدون ويرقصون ويتهللون، فهلم واسمع ما يرتله إشعيا إذ
يقول: «لَأُنشِدَنَّ عَنْ حَبِيبِي نَشِيدَ حُبِّي لِكَرَمِهِ» (إش ٥: ١). وانظر
أيضاً إلى رقص النساء القديسات، إلى مريم أخت موسى مع نساء بني
إسرائيل، عندما أنشدن **للرب** ترنيمة الظفر قائلات: «رَمُّوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ
قَدْ تَعَظَّمَ» (خر ١٥: ٢١). وهذا النشيد يذكره داود أيضاً في مزاميره
إذ يقول: «في الجماعات باركوا الله، الرب من ينايع إسرائيل... في
وسط فتيات ضاربات الدفوف» (مز ٦٧: ٢٥-٢٦ س). بل إن داود
المغبوط نفسه لم يستح أن يرقص أمام تابوت الله، بل أعلن فرحه أمام
الرب، حيث كتب في السفر: «وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ
الرَّبِّ» (٢ صم ٦: ١٤).

وحتى يوحنا السابق، وهو بعد جنين في بطن أليصابات، حين أحس
بالعنقود الإلهي (تون ثيون فوترين) (τὸν θεῖον βότρυν) محتبباً
بعد في أحشاء العذراء التي لم تعرف رجلاً، أخذ يرقص ويتهلل في
بطن أمه.

إن الرُّمَانَ والتُّفَّاحَ والنَّخْلَ وسائر ثمار الأشجار المثمرة تُمتنع حلق
جسدنا بحلاوة طعمها، أما الأقوال الإلهية الخارجة من أفواه المعلمين
القديسين، إذا امتزجت بالحبّة ووصلت إلى سمعنا، فإنها تُحلي حنجره
النفوس. وكما أن الذي يقطف ثمار الأشجار، فإذا ذاقها مدح الأشجار
التي أخرجتها، كذلك الذي يجمع في سلّة سمعه الأقوال الإلهية التي
للآباء المعلمين، ثم يُدخلها إلى ذهنه، فإذا اختبر عذوبتها مدح المعلم
الذي نطق بها، وقال: «إِنَّ كَلِمَاتِكَ حُلْوَةٌ جَدًّا فِي حَلْقِي، أَكْثَرُ مِنْ
العَسَلِ فِي فَمِي.» (مزور ١١٨: ١٠٣). وكذلك سليمان الحكيم جدًّا
شبه الأقوال الصالحة بقرص العسل، إذ يقول: «أقرص عسل كلام
طيب، حلاوة للنفوس وشفاء للعظام» (أم ١٦: ٢٤). فكما أن الحلق
يذوق الأطعمة ويميز النافع منها من المؤذي، هكذا عقل النفس يعرف
أن يفرز الكلام المفيد من الضار، كما يقول سفر أيوب: إن الحلق
يذوق الطعام، أما العقل فيميز الأقوال. فلا يظن أحد أن أي رب
بيت يستطيع أن يقتني في بستانه أشجاراً متنوعة، من نخل وتفاح
وزيتون، أما الرب فلا يستطيع أن يكون له في بستان كنيسته أنواع شتى
من الأشجار، أي آباء قديسون يقدم كل منهم من أعماق قلبه ثمار
أقواله، لينال منها كل من يدخل هذا البستان بحسب اشتياقه وقدرته.
فهذا من الآباء يشبه زيتونة مورقة نضرة، أوراقها الكثيفة هي أوراق
الإيمان، وثمرها هو أعمال التقوى. وذاك يشبه نخلة مكلفة بأغصان
الظفر على إبليس، تُظهر الثمر الحلو، أي الإحسان إلى الفقراء،
ولذلك يقول الكتاب: «الصديق كالنخلة يزهر» (مز ٩١: ١٢). وآخر
من آباء الكنيسة يشبه التفاح، لأنه يهب الإنسان لذتين: عطره الطيب
للأنف، وحلاوته للحلق. ولهذا حين تمدح الكنيسة مثل هذا في نشيد
الأنشاد تقول: «كَالتُّفَّاحِ بَيْنَ شَجَرِ الوَعْرِ كَذَلِكَ حَبِيبِي بَيْنَ الْبَنِينَ»،
وتقول أيضاً: «تَحْتَ ظِلِّهِ اسْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ، وَثَمَرُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي.»
(نش ٢: ٣). أما أنا، يا أحبائي، فماذا أصنع وأنا ذو أوراق قليلة، وثمر
أقل منها، بحيث لا أستطيع أن أعيش العطاش، ولا أن أشبع الجياع من
ثمار كلامي؟ وكان الأحسن أن أكون معكم متعلماً أقتبس تعاليم
الآباء القديسين. لكن بما أن خوف الله ومحبتتي لكم يدفعاني إلى
الكلام، فلنأخذ من الإنجيل العذب كلمتين أو ثلاثاً، كما لو كنا نأخذ

«وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ قَدِ انْتَصَفَ، صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ» (يو ٧: ١٤). والهيكل هو الموضع الذي يسكن فيه الله وحده. أما اليونانيون فيقولون أيضًا: عندنا هيكل، لكنهم لا يعلمون أنه ليس موضعًا مقدسًا بل نجسًا. لأنَّ حيثُ تُسْفَكُ الدماء، وتُراقُ السكائب، وتتصاعدُ رائحةُ الشحم من الحيوانات المذبوحة، لا يمكنُ أن يكونَ المكانُ مقدسًا، بل هو مسكنُ نجسٍ للشياطين. **أما الهيكلُ فهو بيتُ بُني لسكني الله وحده، حيثُ تُسَاكِنُهُ المحبَّةُ والسلامُ، والإيمانُ والعفة.** لذلك ينبغي أيضًا للكاهن الذي يقدمُ لله الذبيحةَ غيرَ الدمويَّةِ أن يكونَ مسالمًا هادئًا، غيرَ مُنقادٍ إلى الضلال، بلا مكر، غيرَ محبِّ للمال، لكي يضعَ الله أولًا في نفسه، ثم يسيِّرُ الشعبَ على مثاله بعد ذلك.

ويمكنُ أن تُدعى نفسُ كلِّ إنسانٍ أيضًا هيكلًا، إذا كانت طاهرة، لأنَّ **الربَّ يقول:** «أُسْكُنْ فِيكُمْ وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ» (راجع ٢ كو ٦: ١٦). أما الهيكلُ الحقيقيُّ القداسة، والكاهنُ، والذبيحةُ، فهو **المسيحُ نفسه**، الذي فيه، كما يقولُ الرسولُ الإلهيُّ، يحملُ ملءُ اللاهوتِ كلُّه جسديًا، والذي **قال له الأب:** «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ» (مز ١٠٩: ٤). لكنْ إذْ انجرتُ الآن، من غيرِ قصدٍ مِنِّي، إلى واحدةٍ من أعظمِ المسائل، فقد صرْتُ حائرًا إلى أين أوجهُ نظري فكري، ولا أعرفُ إلى أيِّ جهةٍ أديرُ دفةَ تعليمي. لأنَّه إنْ كان الرسولُ، لمَّا بَلَغَ إلى حديثِ **ملكي صادق**، قد تجنَّبَ أن يشرحَ الأمرَ تفصيلًا، مكتفيًا بأن يقولَ إنَّ الكلامَ عنه عسيرٌ بالنسبةِ إليكم، فماذا أقولُ أنا الذي أبعُدُ ما أكونُ عن مقامِ الرسول، على قدرٍ ما يستطيعُ الإنسانُ أن يقيسَ؟ وكما أنَّ المسافرَ ما دامَ سائرًا في طريقٍ مستوٍ ومنبسِطٍ، يمضي مسرورًا، فإذا بَلَغَ موضعًا وعراً أو صعودًا شديدًا عسيرَ المسلكِ، وقد ارتفعَ أمامه جبلٌ شاهقٌ كأنَّه يبلغُ السماء، فإنَّه بعد أن يقفَ ويتأملُ مقدارَ الجهدِ اللازمِ للصعود، يبدأ يمشي قليلاً قليلاً لئلا يكلَّ سريعًا؛ هكذا نحن أيضًا، ما دامَ أمامنا الطريقُ السهلُ المنبسِطُ في الإنجيل، كنَّا نتابعُ سيرنا بفرحٍ بخطوةِ الكلام. أما الآن، وقد وصلنا إلى موضوعٍ تبلغُ صعوبتهُ إلى السماء، فإنَّنا نبدأ في **صعودِ السِّلْمِ السماويِّ** بالتفسيرِ رويدًا رويدًا.

فما هي المسألة التي يطلبُ جميعُ المسيحيين لها جوابًا؟ إنَّهم يقولون: لماذا قال الرسولُ عن **ملكي صادق** إنَّه بلا أبٍ، وبلا أمٍّ، وبلا نسبٍ، وليس له ابتداءٌ أيامٍ ولا نهايةٌ حياةٍ؟ لأنَّه لو كان الأمرُ كذلك لما كان إنسانًا بل إلهًا. وكثيرون، إذ لم يفهموا ما قاله الرسولُ فيه، زعموا أنَّ **ملكي صادق** أعظمُ من **المسيح**، وهكذا أنشؤوا بدعةً خاصةً بهم، ودعوا «الملكيصاقيين». وهؤلاء، إذ يخاصموننا ويريدون أن يُثبتوا أنَّ **ملكي صادق** أعظمُ من **المسيح**، يقدمون لنا الكتابَ شاهدًا، إذ يقول: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ». فيقولون: كيف لا يكونُ **ملكي صادق** أعظمَ من **المسيح**، والمسيحُ كاهنٌ على صورتهِ ورتبتهِ؟ وآخرون، وقد انساقوا إلى ضلالٍ أشدٍّ، قالوا إنَّه الروحُ القدس. أما نحن فنقولُ إنَّ **ملكي صادق** إنسانٌ مثلنا، ذو ضعفٍ بشريٍّ مثلنا، وليس أعظمُ من **المسيح**. ولماذا أقولُ: ليس أعظمُ من **المسيح**؟ إنَّه ليس أعظمُ حتى من **يوحنا المعمدان**، لأنَّ ربَّنَا قال الحقَّ عندما قال: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلَّودِينَ مِنَ النَّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت ١١: ١١). ولا نقبلُ قطعًا أنَّه الروحُ القدس. ولكي تروا أنَّ **ملكي**

صادق ليس أعظمَ من **المسيح**، فليقلْ لنا الذين يدافعون عن هذا الرأي: من أيِّ موضعٍ أو من أيِّ عالمٍ يقولون إنَّ **ملكي صادق**؟ أهو من السماء، أم من الأرض، أم من تحت الأرض؟ فإنَّ قالوا إنَّه من السماء أو من أيِّ موضعٍ آخر، فليسمعوا أنَّه ينحني أمام **المسيح**. لأنَّ الرسولَ يقولُ إنَّ الجميعَ سيحثونُ أمامه، وستعترفُ به كلُّ لسانٍ، ممَّا في السماءِ وعلى الأرضِ وتحت الأرضِ. فإذا كان **ملكي صادق** يسجدُ أمام **المسيح**، فمن المنطقي أن يكونَ أدنى من **المسيح** الذي يسجدُ له. ولماذا لا يقرأ هؤلاء الحمقى الآيةَ التاليةَ أيضًا، التي قالها الرسولُ لكي يثبتوا أنَّ **ملكي صادق** أدنى من **المسيح** بالحقيقة؟ فإنَّه يُبْعِ كَلَامَهُ قَائِلًا إِنَّهُ «مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللَّهِ». (عب ٧: ٣)، كما أنَّنا نحن أيضًا صرنا على **صورةِ المسيح** ومثاله. فلعلَّ واحدًا من السامعين يسألُ ويقول: لماذا إذاً ذُكر **ملكي صادق** بلا أبٍ وبلا أمٍّ وبلا نسبٍ؟ فنجيبه بأنَّ اليهودَ قالوا إنَّ **ملكي صادق** وُلد من زنى، ولذلك لم يذكر الكتابُ نسبه. لكننا نقولُ لليهود إنَّ جوابهم هذا باطل، لأنَّنا نجدُ في الكتابِ آخرين وُلدوا من زنى، ومع ذلك ذُكرَ نسبهم، مثل سليمان الذي وُلد من امرأةٍ أوريا، ومع ذلك ذُكرَ نسبه، وكذلك أيمالك بن جدعون، مع أنَّه وُلد من زنى، فقد ذُكرَ نسبه. فلماذا إذاً لم يُذكر نسبُ **ملكي صادق**؟ لأنَّ **ملكي صادق** كان رمزًا للمسيح، وكان **صورةً للمسيح**. لهذا أهملَ الكتابُ ذكرَ أبيه وأمه وتركه بلا نسبٍ، لكي نرى فيه كما في مرآةٍ **المسيحَ الحقيقيَّ** الموجودَ بلا أبٍ وبلا أمٍّ وبلا نسبٍ. **فالمسيحُ**، من حيثُ مولدهُ بالجسدِ على الأرضِ، ليس له أبٌ، ومن حيثُ لاهوتهُ في السماءِ ليس له أمٌّ. وهو الذي لا بدايةَ لأيامه ولا نهايةَ لحياته. لذلك لم يذكر الكتابُ نسبَ **ملكي صادق**، بل أغفلَ أيضًا مولدهُ ووفاته، لكي نرى في شخصِ **ملكي صادق**، ملكي صادقٍ الحقيقيِّ، أي **المسيح**. لأنَّ اسمَ «ملكي صادق» يعني «ملك البرِّ»، وهذا هو **المسيح**، الذي ليس له ابتداءٌ أيامٍ ولا نهايةٌ حياةٍ، لأنَّ **الله** الكلمةُ لم يكنْ له قطُّ ابتداء، ولا ينتهي أبدًا، ولا يموت، بل **المسيحُ باقٍ إلى الأبد**.

غير أنَّ **الملكيصاقيين** يعترضون على هذا ويقولون: فما معنى ما يقوله الأبُّ له: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ»؟ فنحن نجيبهم بأنَّ **ملكي صادق** كان إنسانًا بائرًا، يحملُ في داخله بحقَّ **صورةَ الله**. وإذا كان منقادًا بروحِ نبويٍّ، وقد عرفَ مُسبقًا الذبيحةَ التي كان **المسيحُ** مزمعا أن يقدمها لله، كان يمجِّدُ اللهَ بالخبزِ والخمر، متمثلًا بهذا الفعلِ **بالمسيح** الآتي إلى الأرض. أمَّا في مجمع اليهود، فإنَّ كهنوتَ هارون كان يقدمُ لله ذبيحةً لا من خبزٍ وخمر، بل من عجولٍ وحملان، ويمجِّدُه بذبائحٍ دمويَّة. لذلك يهتفُ **اللهُ موجِّهًا كلامه إلى يسوع**، الذي كان مزمعا أن يولدَ من العذراءِ مريم: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ»، لا على رتبةِ هارون الذي كان يعبدُ اللهَ بالعجول والحملان والذبائحِ الدمويَّة، بل «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ»، مقدِّمًا الذبيحةَ غيرَ الدمويَّةِ للأُممِ بالخبزِ والخمرِ إلى الدهور. ولكن، لئلا نُعطي انطباعًا، يا أحبائي، بأننا نُكثِرُ الكلامَ عبثًا ونُطيلُ الحديث، نقطعُ هنا عظمتنا، ونُحِيلُكم إلى **ينوعِ تعليمِ الآباء**، أولئك الذين يروون عطشَ نفوسكم، ويفرحون قلوبكم، **بنعمةِ الرُّوحِ القُدسِ، في المسيحِ يسوعِ ربَّنَا، الذي له المجدُّ إلى دهرِ الدهور. آمين.**

السامرية

عظة للقديس
يوحنا الذهبي الفم

هامة القديسة
فوتيبي السامرية
محفوطة بوقار في
دير القديس غريغوريوس
جبل آتوس



دير القديس غريغوريوس

دير إيفيرون العامر



الذخيرة غير الفاسدة
قدم القديسة فوتيبي السامرية
دير إيفيرون المقدس - جبل آتوس



كاملٌ وإنسانٌ كامل، له طبيعتان وإرادتان وفعالان، ما خلا الخطيئة.

«وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِي مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ» لِأَنَّ تَلَامِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَنَاوَعُوا طَعَامًا. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» (يوحنا ٤: ٦-٩).

ينبغي لنا، أيها الأحباء، أن نفحص لماذا ذكر الإنجيلي المكان والساعة وغياب التلاميذ. أما المكان، فلأنه جلس قرب البئر. وأما الساعة، فلأنها كانت نحو السادسة. وأما غياب التلاميذ، فلأنهم كانوا قد ذهبوا إلى المدينة ليشتروا طعامًا. ولماذا ذكر المكان؟ لأن هناك كان صيدٌ روحي، فذهب إلى ذلك الموضع ليقتنصه. ألا ترون ما يفعله الصيادون؟ إنهم لا يجوبون كل ناحية من البحر صعودًا ونزولًا، بل يقصدون الموضع الذي يعرفون أن فيه سمكًا، لأن السمك يكثر في مواضع بعينها.

وهكذا أيضًا ربُّنا يسوع المسيح، الإله العظيم الذي أعلنه النبوة، كان بكونه إلهًا، يعلم أنه هناك يستطيع أن يقتنص صيده الروحي، أي السامرية. وكما يختار الصيادون المكان ثم يصيدون، هكذا جاء المسيح إلى الموضع الذي كان فيه يستطيع أن يمسك السامرية، ويجعل منها سببًا لصيدٍ وفيرٍ من البشر. ولهذا ذكر المكان. ولكن لماذا ذكر الساعة أيضًا؟ لأن «يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبَيْرِ».

فاسمع الآن، أيها الحبيب، ما يتعلق بالساعة أيضًا. كانت السامرية امرأة فقيرة، تعيش من تعب يديها، فقيرة في المال لا في تقوى النفس. فكانت تستيقظ باكراً وتنشغل بالنول لكي تكسب قوتها. لكن عند الساعة السادسة، أي في وقت الظهيرة حيث لا يخرج الناس عادةً ليستقوا ماءً، كانت هي تحمل جرّتها وتمضي لتملأها، متجنباً أعين الآخرين. وكان الربُّ الكلي المعرفة يعلم ذلك، فجاء في هذا الوقت بالذات، لكي يلتقي بها ويصطاد هذا الصيد الروحي.

ولأي سببٍ أبعده الربُّ تلاميذه؟ يقول الإنجيل إن تلاميذه كانوا قد

اليوم يُحدِّثنا المسيح عن أتعاب السامرية وجهادها، ويجب على زورق كلامي الفقير أن يقطع بحر مآثرها. إنني أرى إيمانها، وأريد أن أنسخ مدحها، وأن أشيد معكم بهذه المرأة: الفقيرة والغنية، الزانية والرسولة، الضالة والمؤمنة، الكثيرة الأزواج والقويّة في الرّوح، التي لوّثت كثيرين، والتي خدمت ابن الله الوحيد، التي تنجّست ثم تطهّرت، والتي عطشت فاشتت الماء الحي، فورثت ينابيع نعمة السماء.

فماذا يقول الإنجيلي يوحنا، الذي أعلن بسلطان الأسرار التي لا يُنطق بها؟ «فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوحَارٌ، بِقُرْبِ الصَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. وَكَانَتْ هُنَاكَ بئرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبَيْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِي مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ» لِأَنَّ تَلَامِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَنَاوَعُوا طَعَامًا.» (يوحنا ٤: ٥-٨).

فماذا يقول النبي أشعيا؟ إن الله العظيم لا يجوع، ولا يعطش، ولا يتعب، ولا يدرك عمق حكمته. وكذلك يكتب الإنجيلي متى عنه في إنجيله: «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَحْيَرًا.» (مت ٤: ٢). وهكذا أيضًا يقول الإنجيلي يوحنا، كما سمعتم منذ قليل: «فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبَيْرِ».

وكانت الساعة نحو السادسة من النهار. فالواحد يقول إنه جاع، والآخر إنه تعب، وأشعيا النبي، الملهم من الروح القدس، يصرّح بأن الله العظيم لا يجوع ولا يعطش ولا يتعب، ولا يُستقصى عمق حكمته. فكيف تُحفظ موافقة الأناجيل مع النبوة؟ لأن تديير الله العظيم دبر لمخلصنا اتحادًا عجيبيًا مزدوجًا: إلهًا وإنسانًا، بحسب مسرّته ومشيتته. ولذلك فإن النبي يعلن قدرة اللاهوت وعظمته، أما الرسل والإنجيليون فيظهرون حقيقة تديير الجسد. ولهذا كان يسوع، إذ تعب من السفر، جالسًا هكذا على البئر، مظهرًا تديير التجسد، إذ إنه إله

مضوا إلى المدينة ليشتروا طعامًا. كانت المرأة فقيرةً ومثيرةً للشفقة، كما قلنا، ولم تكن لتجسر أن تقف أمام هذا العدد من الرجال المحيطين **يسوع**. فلو رأت مهابة المعلم، والتلاميذ من حوله، والمعلم والمتعلمين، والناس والنظام والمقام واللباس والرسمية، لهربت في الحال، وضاع الصيد. ما كانت لتتجرأ على الاقتراب، فلا يقع السمك في الشبكة، ولا يُصاد، بل ينجو ويفلت.

ولذلك أرسل التلاميذ إلى المدينة. قال لهم: اذهبوا واشتروا أطحمةً. أنتم اذهبوا لتبتاعوا، أما أنا فلي طعام آخر. «طعامي أن أعمل مَشِيئةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنْتُمْ عَمَلُهُ» (يوحنا ٤: ٣٤). أنتم تهتمون بالجسديّات، أما أنا فبالروحيّات. أنتم تشترون، أما أنا فقد افتديتكم إذ اشتريتكم.

لقد افتداكم **المسيح** من لعنة الناموس، إذ صار لأجليكم لعنةً، كما يقول **بولس**: «الإناء المختار» (أعمال ٩: ١٥). وأنا أريد بالماء أن أصطاد هذا الصيد الروحيّ. ها قد علمت لماذا ذكر المكان والساعة وغياب التلاميذ. والآن ينبغي أن نتكلم في بقية الأمر.

«فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لَتَسْتَقِي مَاءً». جاءت **السامرية** في الساعة السادسة لتستقي، بعدما أوقفت نسيحها، لكي تأخذ الماء في ساعة الراحة، وكما ذكرت مرارًا، في الساعة السادسة. وذلك لأن حواء أيضًا، حين تعدت الوصية، كان ذلك نحو الساعة السادسة. ولهذا أيضًا خلصت **السامرية** عند البئر في هذه الساعة السادسة. جاءت **السامرية** تستقي ماءً، فرأت **يسوع** كغريبٍ وحيد، كمسافرٍ يريد أن يستريح من تعبهِ، جالسًا قرب البئر. رأت إنسانًا محترقًا، فلم تُعره اهتمامًا. أما هو، **الإله** الذي يعرف كل شيء قبل أن يوجد، فلمّا رأى كنز الإيمان المحبوء في المرأة، قال لها: «أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ».

ينبوغ الحياة، وهو جالسٌ عند البئر، يطلب أن يشرب، لا لأنه يريد أن يشرب، بل لأنه يريد أن يعطي. «أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ»، لكي أعطيك أنت أن تشربي ماءً عدم الفساد، أي ماءً للخلود. لأني أنا أعطش إلى خلاص البشر. أعطش لا لكي أشرب، بل لكي أسقي. لقد اقتديتُ بأبي. **فالله يقول** لإبراهيم: «أعطني ابنك، قدم لي إسحق، ابنك الحبيب، وحيدك، وأصعدته محرقةً على الجبل الذي أريك» (راجع تك ٢٢: ٢). ولم يقل هذا لأنه أراد أن يأخذ الولد، بل لأنه أراد أن يهب للعالم ابنه، **يسوع المسيح**، كلمة الله المتجسد.

ويكتب **ابن الرعد**، **يوحنا العجيب**: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية». (يوحنا ٣: ١٦). أعطني وحيدك، لكي أهب العالم الوحيد الحقيقي. قدم ابنك، لا لكي تذبحه، بل لكي أقدم أنا ابني الوحيد ذبيحةً لأجل خلاص العالم، ذبيحةً حيّة مقبولة مقدّسة. وهكذا هنا أيضًا: «أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ»، لا لكي أشرب، بل لكي أسقي.

«فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِأَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لَأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ.» (يوحنا ٤: ٩)، لقد تكلمت المرأة بدقة. ففي هذا تُظهر هذه الزانية بُلبها أو مروءتها، وفي هذا تُظهر حفظها للناموس. هكذا هو شأن جنس السامريين: يتدنسون بالزنا، وبالماء يظنون أنهم يتطهرون. «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِأَشْرَبَ، وَأَنْتَ

يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لَأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ». إنهم يلطّخون النفس كلها، ثم يظنون أنهم يتطهرون الجسد.

وهكذا كانت **السامرية** أيضًا. كانت نفسها غارقةً في الزنا، ومع هذا تُخاصم من أجل شربة ماءٍ قليلة. لكن **يسوع** لم يزرها، ولم يقل لها: أنا إله من إله، أنا الذي ثبتت السماء وأسسّت الأرض، وأنت تجادليني في الماء وشربه، وأنت امرأةٌ منتحسة بالخاطايا؟ بل قال لها: «لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ، لَطَلَبْتَ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكَ مَاءً حَيًّا» (يوحنا ٤: ١٠).

أرأيت كيف أيقظ فيها الشوق قليلًا قليلًا، إذ قال لها: «لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ، لَطَلَبْتَ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكَ مَاءً حَيًّا؟»، «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، لَا دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَيْبِنَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبْنَا مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟» (يوحنا ٤: ١١-١٢). لقد كان للمرأة توفيرٌ كبيرٌ **للبطريك يعقوب**، وكان لها فيه رأيٌ عظيم، وبحق، لأنه أبو الأسباط الاثني عشر، إذ إن أسباط إسرائيل الاثني عشر إنما ينحدرون منه. وأيضًا لأنه صار **الله** وظهر قويًا، حتى إن **الله** قال له: «أَطْلُقْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ» (تك ٣٢: ٢٦). كان **الله** يصارع الإنسان (يعقوب) ويقول له: «أَطْلُقْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». أما هو فقال: «لَا أُطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي» (تك ٣٢: ٢٦).

فما معنى هذا، وما مغزى **مصارعة الله** للإنسان، كما حدث مع يعقوب؟، إلا أنه كان مزعمًا أن يلبس الجسد البشري؟ وماذا قال له **الله**؟ «لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدَ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». إذا، كان للمرأة **تقديرٌ كبيرٌ للبطريك**. ولهذا كانت تقول **للرب**: «أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَيْبِنَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبْنَا مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟». فانظر الآن إلى **حكمة الرب**، وانظر إلى لطف المعلم.

لم يقل لها: نعم، أنا أعظم من أبيكم يعقوب. ولم يقل لها كما قال لليهود: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يو ٨: ٥٨). ولم يقل لها: «إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَمَ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا.» (مت ١٣: ١٧). لم يقل لها شيئًا من هذا، بل أوقف الخصومة المتعلقة **بالبطريك**، وجعل المعركة أقوى من جهةٍ أخرى. لأنه لو قال لها: نعم، أنا أعظم من يعقوب، لأنه أخذ البركة مني وأنا أعطيتها له، لربما هربت في الحال، إذ لم تكن لتحتمل هذا العلو من الإعلانات.

لم يقل لها شيئًا من هذا، بل جعل الأمر واضحًا لا يُقاوم من خلال الأمور نفسها. قال لها: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَاءٍ يَنْبُوعٌ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يوحنا ٤: ١٣-١٤). لقد دُكر يعقوب والمسيح، لكنه ترك الخصومة في الأشخاص، وانتقل إلى المقارنة بين الماء المنظور والعطايا الخفية.

فلو قال لها: نعم، أنا أعظم من يعقوب، لهربت فورًا إلى المدينة قبل أن تسمع تمام الجواب، ولكانت قالت: هذا الرجل ليس في صوابه، إنه

ممسوس، مجنون، غريبٌ ضربه الهذيان، محتقرٌ يزعم أنه أعظم من أبنينا، أعظم من ذلك الذي صار أبًا للأسباط الاثني عشر، من ذلك الذي نال بركة الله، ومن ذلك الذي خرج فقيرًا وعاد غنيًا بتدبير الله.

لكن المسيح كان ينزل إلى مستوى المرأة، ويتنازل إلى ضعفها، لكي يرفعها قليلاً قليلاً إلى علو الأقوياء.

اسمعوا الآن ماذا يفعل الصيادون. إنهم يلقون السنارة في البحر، فإذا أحسوا أن السمكة قد تعلقت، لا يجذبونها إلى فوق حالاً، بل يرخون لها أولاً، لكي تتلع الطعم كله في غير حذر. فإذا علموا أن السنارة قد دخلت إلى أحشائها وإلى عمقها، عندئذ يجذبونها بقوة إلى فوق، أولئك الذين كانوا في البدء متأتين. وهكذا **صنع المسيح مع المرأة**.

لم يُظهر لها منذ البدء جمالَ لاهوته، ولا وعددها بعطايا عظيمة، ولا أعلن لها أنه هو الذي خلق يعقوب. بل أشعل شوق نفسها قائلاً: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَاءٍ يَنْبُوعٌ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يوحنا ٤: ١٣-١٤). لقد ترك المخاصمة في الأشخاص، وجاء إلى فيض المواهب، أو بالأحرى أظهر تفوقها من خلال الأمور نفسها. «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أُعْطِنِي هَذَا الْمَاءِ، لِكَيْ لَا أَعْطَشَ وَلَا آتِي إِلَى هُنَا لِأَسْتَقِي» (يو ٤: ١٥)

أرأيت كيف آمنت فوراً أن الماء الذي يعطيه **المسيح** لا يسمح بعودة العطش؟ «يَا سَيِّدُ أُعْطِنِي هَذَا الْمَاءِ، لِكَيْ لَا أَعْطَشَ وَلَا آتِي إِلَى هُنَا لِأَسْتَقِي». لقد أيقظ فيها قليلاً قليلاً الشوق إلى **النيابيع الروحية**. آمنت أنه ماءٌ تشربه فلا تعطش بعد، ماءٌ إذا شربته محي صكُ الخطايا. «أعطني يا رب هذا الماء لكي لا أعطش، ولا أعود آتي إلى هنا لأستقيه من البئر». «قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالِي إِلَى هَهُنَا». إن كان لك شريك في الحياة، فليكن شريكاً لك أيضاً في الإيمان. لا تأخذي وحدك عطية المواهب الروحية.

«أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالِي إِلَى هَهُنَا». لأجل هذا أتيت إلى الأرض، لا لأخلص حواء وحدها في شخص **مريم الدائمة البتولية والدة الإله**، بل أيضاً لأرد الرجل إلى الفردوس بالآمي. «أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالِي إِلَى هَهُنَا».

وبولس، معلم المسكونة، يكتب إلى أهل كورنثوس بالفكر عينه: «لأنَّه كَيْفَ تَعَلِّمِينَ أَيُّهَا الْمَرْأَةُ، هَلْ تُخَلِّصِينَ الرَّجُلَ؟» (١ كو ٧: ١٦). ولكن لنرجع إلى ما نحن فيه. «أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالِي إِلَى هَهُنَا». فقالت المرأة: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». هنا بدأت المرأة تكشف خطاياها، وبدأت تعترف وتقول: ليس لي زوج. «قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لِأَنَّهُ كَانَ لِكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لِكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكَ. هَذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ» (يو ٤: ١٧-١٨).

فما معنى هذا؟ «كَانَ لِكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لِكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكَ». كانت المرأة قد اتخذت خمسة أزواج، ثم ماتوا. وبعدهم صارت زانية. ولهذا لم يرد أحد أن يقترب منها كزوجة شرعية. ولما عجزت عن كبح أهوائها، اتخذت في الخفاء من كانت تزني معه. ولم تكن زانية معروفة ولا مُعلنة، بل كانت تعيش سرّاً مع رجل. وكانت تظن أن **المسيح**، من

حيث هو إنسان، يمكن أن يُخدع، فقالت له: ليس لي زوج. **أنا المسيح**، العارف خفايا القلب، والعالم بكل شيء قبل أن يكون، فقال لها: «حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لِأَنَّهُ كَانَ لِكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لِكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكَ. هَذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ».

فقالت له المرأة: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ» (يو ٤: ١٩-٢٠). أيّ نبي تقصدين، أيتها المرأة؟ أذاك الذي كتب عنه **موسى**: «يُقِيمُ لِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ؟» (تث ١٨: ١٥). أم نبياً آخر؟ أهو ذاك الذي يكشف خفايا القلب؟ فلما رأت أن **الرب** كشف خطاياها، قالت: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!». وكأها قالت بلسان **داود**: «طَهَّرْنِي مِنْ خَفَايَايَ» (مز ١٨: ١٣).

كان الله جالساً يكلم المرأة. يا لعظم محبته للبشر! ذاك الجالس على الكاروبيم يحدث زانية! «أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ. أَبَاؤُنَا عْبَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ مَوْضِعَ الْعِبَادَةِ هُوَ أُورُشَلِيمَ». إن الزانية تفتح حديثاً عقائدياً. ولما ظنت أن **الرب** نبي، لم تسأله شيئاً أرضياً. اعترفت به ربّاً، ولم تطلب ثروة مادية. اعترفت به ربّاً، ولم تطلب شيئاً سوى تثبيت الإيمان الموروث من الآباء. «أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ». لأن إبراهيم هناك، على ذلك الجبل، قدّم **الله** ابنه ذبيحة، وفي أورشليم رأى يعقوب، وهو منحدرٌ إلى لابان من سورية، في الحلم السلم المنصوبة من الأرض إلى السماء، وصرخ **الله**. ولهذا قال: «لقد ظهر لي **الله** في لوز» (تك ٣٥: ٦-٧) (*).

ولهذا كانت المرأة تتناول أمور العقيدة وتقول: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ». فأجابها **الرب** بحكمة تليق به. ولأها كانت تظنه يهودياً، وهي سامرية، لم يشأ أن يجيبها جواباً قاطعاً، لئلا يكذبها فتتعتت. لأنه لم يكن يطلب شيئاً آخر إلا أن يقود المرأة إلى طريق **الخلاص**. ولهذا لم يعطها جواباً حاداً، لكيلا يفضحها ويخجل السامرية.

فلو قال لها إن أورشليم هي موضع العبادة، كما رتب **موسى** لبني إسرائيل، لآثار عنادها. لأها، كما قلنا، كانت متمسكة بفكرة قديمة عن الجبل في شكيم، أن إبراهيم فيه تلقى من **الله** أمراً بأن يقدم ابنه **إسحق** ذبيحة. ولو قال أيضاً، من باب التنازل، إن هذا هو الجبل الحق، وإنكم تحسنون عبادتكم فيه، لكانت تلك أيضاً شهادة غير صادقة.

لذلك، بعدما ترك الأمرين معاً، قاد المرأة إلى العبادة الروحية الأسمى، وقال لها: «يَا امْرَأَةَ، صَدَّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ... حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا».

أترون تعليماً سامياً؟ أترون حكمة معلمٍ مبدع؟ «يَا امْرَأَةَ، صَدَّقِينِي». تأملوا كيف بيني إيمان المرأة. تأملوا كيف يرفع نفسها قليلاً قليلاً، في لطفٍ ورفق، إلى السماء. ومن غير أن ينظر إلى هيئة الزانية، صار خادماً لخلاص نفسها. لأنه لم يأت ليدعو الأبرار، بل **الخطاة إلى التوبة**. لأنه نزل إلى العالم من أجل **الخروف الضال**، بعدما طأطأ السماوات وصار

إنساناً كاملاً، مع بقائه ما هو، من غير أن يفارق **حضر الآب**. «يا امرأة، صدَّقيني أنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب... حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا».

إن عبادة الله لا تنحصر في الكلام، بل إن معرفة النعمة الإلهية تمتد إلى كل مكان. لم يعد اليهود والسامريون يحتكرون رمز الناموس. لأن الذين يسجدون لله ينبغي أن يقدموا له عبادة روحية وحققة. لا عبادة بمحرقات غريبة عننا: عجولاً وكباشاً. لا ختاناً بعد اليوم، ولا حفظ السبت، ولا هيكل سليمان، ولا مذبحاً، ولا التيس المرسل إلى البرية، ولا قدس الأقداس. لا ظلّ الناموس بعد الآن، ولا عبادات وسبوتاً قد بطلت أمرها. **لأن الله يقول على فم النبي: «رؤوس شهوركم وسبوتكم واليوم العظيم لا احتملها... أصوامكم وأعيادكم أبغضتها نفسي» (انظر أشعياء الاصحاح الأول)**. ينبغي للساجدين أن يقدموا عبادة حققة. لأن تلك كلها قد مضت كالظل. «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكُلُّ قد صارَ جديداً.» (٢ كو ٥: ١٧). لقد تبدل ترتيب الأمور. لم أعد أسمح بأن يجتمع عابِدو الله في موضع واحد، أي في هيكل أورشليم. أريد أن أسط عطايا الخلاص إلى المسكونة كلها. «إلى كل الأرض خرج منطقتهم، وإلى أقصى المسكونة كلمتهم» (مز ١٨: ٤). **الله روح**، والذين يسجدون له ينبغي أن يقدموا له عبادة روحية وحققة. «قالت له المرأة: «أنا أعلم أن مسياً، الذي يُقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذلك يُخبرنا بكل شيء؟». إن الزانية تتفلسف في الأمور الروحية، وتجعل الكتب الإلهية على فمها. وإن كان جسدها قد انغمس في نجاسة الزنا، فإن نفسها قد تطهّرت بذكر الكتب الإلهية وقراءتها. «أنا أعلم أن مسياً يأتي». ومسيّاً تعني: **المسوح**. ولهذا تقول المرأة: «إني أنتظر المسوح، ذلك الذي سيمسح جسده باللاهوت. ذلك، متى جاء، أخبرنا بكل شيء». هوذا تقدّم رُوحِي، هوذا زانية تعرف هذه الأمور كلها. انظروا كيف ارتفعت من أعماق الأرض إلى السماوات. إنها تدعو **المسيح** «مسيّاً»، أي المرسل والمنتظر، الآتي لخلاص العالم كله، وهو نبي وربّ.

لم تعد تسميه يهودياً، ولم تعد تميّز في إعطائه الماء، ولم تعد تقول: «كيف تطلب مني لتسرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامريّة؟». ولم تعد تقول: «إن السامريين لا يعاشرون اليهود» / «لأن اليهود لا يعاملون السامريين». بل تقول له: «يا سيّد، أرى أنك نبي!». ثم تعود إلى الحديث في العقيدة. «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن أورشليم هي الموضع الذي ينبغي أن تقدّم فيه العبادة». انظروا كيف خطفتم عطية المواهب الروحية، وكيف عرضت كل شيء ببرهان من الكتاب. «أنا أعلم أن مسياً، الذي يُقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذلك يُخبرنا بكل شيء؟». **ذاك** أطلب، **ذاك** أترقب، **وذاك** أنتظر. «قال لها يسوع: «أنا الذي أكلمك هو». يا لعظمة العجائب! ما أخفاه عن كثيرين من الرسل، أعلنه للزانية جهاراً.

لم يُظهر نفسه لكليوبا وللرسل. بل عندما فتح أعينهم اختفى من

أمامهم. فقال التلميذان: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكُتب؟» (لو ٢٤: ٣٢). لم يعلن نفسه لهم، أما للمرأة فقال: «أنا الذي أكلمك هو». وهذا لم يفعله إلا مع بولس، الذي صعد إلى السماء الثالثة، واختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يُنطق بها، واصطاد المسكونة بشباكه. وما فعله مع بولس فعله قبل ذلك مع السامريّة. فقد أعلنه لبولس من السماء بوضوح وقال له: «سأول، سأول! لماذا تضطهدني؟»، فقال: «من أنت يا سيّد؟» فقال الربّ: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترُفَس مناحس». وهذا عينه يقوله الآن للسامريّة: «أنا الذي أكلمك هو».

وفي أثناء ذلك جاء التلاميذ، ووجدوه يتكلم مع المرأة. فتعجبوا أنه كان يكلم امرأة. **ذاك الذي يملك مع الآب الملك الذي لا ينتهي**، كان يحدث وحده امرأة وحدها. أمّا هي، فتركت جرّتها ودخلت المدينة. تركت جرّتها لأنها امتلأت من المياه الحية. ولما دخلت المدينة أخذت تنادي أهلها: «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. أعلّ هذا هو المسيح؟ تعالوا انظروا إنساناً».

لم تقل: تعالوا انظروا الله بين البشر، لئلا يظنّ الناس أنّها قد جُنّت، ولئلا يقولوا إنّها صارت مجنونة. فمن رأى يوماً الله يمشي؟ ومن رأى الله يخالط البشر؟ بل قالت: «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت». كانت توقظ فيهم الشوق لكي يخرجوا ويصادوا. وكما أمسكت هي في الشبكة، أرادت أن تمسك غيرها. لقد رأت يهودياً، ثم ذابت هي في **معرفة الربّ**، وصارت تقود الآخرين: من الإنسان إلى الله.

زانية لها ضمير رسول، بل صارت أقوى من الرسل. لأنّ الرسل انتظروا إلى أن يكتمل التدبير الإلهي كله، ثم ابتدأوا كرازتهم الرسولية. أمّا هذه الزانية، فقبل القيامة بشرت بالمسيح. «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت». إني أذيع خطاياي لكي أقودكم. ولكي تروا أنّم الإله الذي أتى إلى العالم، أشهر بزلّاتي. فليسجد للمسيح الذي لا يرفض الخطاة. «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. أعلّ هذا هو المسيح؟».

تأملوا **حكمة المرأة**، وتأملوا شكر الزانية. لقد ذكر لها **المسيح** خطية واحدة، هي الزنا فقط، فإذا بها تترك الحجرة وتركض إلى المدينة قائلة: «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت». إنّها تركز بذلك الذي يعرف كل شيء، وتتركض بصوت أعلى من الرسل. لم تره يُقيم الأموات، ولم تر لعازر ذا الأربعة الأيام يُستدعى من القبر، ولم تر الموت يُقيّد، ولا البحر يُضبط بالكلمة، ولم تر خالق آدم، في أمر الأعمى، يُكتمل العيب الطبيعي بالطين. ومع هذا كانت تُنادي **بخزاف الفردوس** بكلامها. «هلمّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت». ومن تلك المدينة السامريّة آمن به كثيرون بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد: «إنه قال لي كل ما فعلت».

فلنقتد نحن أيضاً بهذه السامريّة، ومن غير خجل باطل يمنعنا من الاعتراف بخطايانا، لنخف الله. لكنّي أرى الآن العكس يحدث: نحن لا نخاف ذلك الذي سيدننا، بل نرتعب من أناس لا يستطيعون أن يضربونا بشيء، ونخشى أن يعيرونا. ولهذا نُعاقب من جهة ما نخافه.

فالذي يخجل أن يُظهر خطاياها لإنسان، لكنه لا يخجل أن يفعلها

متعلِّقًا بالأرضيات، مع أنك مهيبًا للسماء، فافهم كم تُهين الواهب، حين يعرض عليك السماويات وأنت لا تُبالي بها، بل تستبدلها بالأرضيات. ولهذا أيضًا هدّدنا بالبحيم، لأننا نحتقره، لكي تعلم هناك كم من الخيرات حرمت نفسك منها. لكن حاشا أن تحتثروا المحيم. بل بعد أن نُرضيه، **ليتنا نُستحقّق أن ننال الخيرات الأبدية، بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبيته للبشر، الذي له المجد والقوّة، مع الآب والروح القدس القدوس المُحيي، الآن وكلّ أوانٍ وإلى دهرِ الدهرين. آمين.**

(*): يُبرِّزُ القديسُ يوحنا الذهبيُّ الفمُّ دورَ أورشليم كمرکزٍ للعبادة، إذ ارتبطت في وعي التقليد بأعمال الله مع الآباء: ففي جبل الموريا قدّم إبراهيم إسحق ذبيحة، وفي تلك الأرض وما حولها أعلنت الرؤى ليعقوب؛ فرأى السُّلم في الحلم، منصوبةً من الأرض إلى السماء، وهو منحدرٌ إلى لابان في سورية، ثم عند عودته إلى أرض كنعان، وقبيل لقائه عيسو، صارع الله.

إنّ الصبر ليس ضعفًا ولا تأخيرًا، بل هو قوّة روحية تُظهر الثقة **بناية الله**. فالذي يتعجّل يسعى إلى فرض مشيئته، أمّا الذي يحتمل فيتعلّم أن يميّز مشيئة الله. ويذكر القديس يوحنا السلمي أنّ الصبر هو أمّ التعزية، ويولد رجاءً لا يُخزي. وكثيرون يقدّمون المشورة من غير أن يكونوا قد اختبروا الجهاد، لأنّ المعرفة النظرية من دون توبة شخصية تقود إلى الضلال. أمّا المرشد الحقيقي فهو ذاك الذي شفى جراحه أولاً، ثم تكلم بعد ذلك بتمييز.

كثيرًا ما تصبح الوحدة موضع لقاء مع الله. فهي ليست تخليًا، بل فرصة لتنقية الأفكار. وقد اختار آباء البرية الهدوء لا احتقارًا للعالم، بل **محبة للحق**. هناك يرى الإنسان ضعفه بوضوح أكبر، فيقاد إلى التواضع. فالألقاب والإكرامات البشرية لا تمنح الفضيلة، لأنّ الفضيلة تُزرع في القلب التائب. ويعلم القديس أنطونيوس الكبير أنه سيأتي زمان يحسب فيه الناسُ مجنونًا ذاك الذي لا يشبههم، لأنّ الحق لا يتبع دائمًا الأغلبية.

إنّ قوّة الإنسان لا تُقاس بالقوّة الخارجية، بل بقدرته على النهوض بعد السقوط. **فالتوبة** ترفع الإنسان أكثر من فضيلة لم تُختبر. ومن يعترف بخطئه يُشفى، لأنّ التواضع يجذب **نعمة الله**. أمّا الغفران فليس نسيانًا للظلم، بل تحررًا من ثقل الحقد. ويعلم القديس مكسيموس المعترف أنّ القلب الذي يغفر يصير مسكنًا للسلام.

إنّ الزمن لا يشفي وحده، بل يكشف ما له جذور وما هو عابر. فالنجاح من دون **سلام** هو فراغ، لأنّ الإنسان مخلوق للشركة مع الله لا للمجد الزائل. ومعنى الحياة ينكشف في اللحظات المتواضعة التي تدرك فيها القلب **حضور النعمة**. فالذي ينتبه إلى إنسانه الداخلي يبدأ أن يُصير حقًا. والذي يعتني بقلبه يتعلّم أن يسمع. والذي يجرؤ أن يرجع إلى الدّاخل يكتشف أنّ ملكوت الله في داخلكم.

إنّ المسيرة الحقيقية ليست خارجية بل داخلية. فالطريق إلى الله يمرّ عبر معرفة الذات، والتوبة، والهدوء. ومن يسلك هذه الطريق يجد سلامًا لا يتعلّق بالظروف، لأنّه يستند إلى **حضور الله**. إنّ الحقّ ينكشف في هدوء القلب، هناك حيث يلتقي الإنسان بالله.

أمام عيني الله، ولا يريد أن يعترف ويتوب، فسوف يُفضّح في ذلك اليوم لا أمام واحدٍ أو اثنين، بل أمام أعين المسكونة كلّها. فلنتحدث إذاً مع **المسيح**، لأنّه الآن أيضًا قائمٌ في وسطنا، ويكلّمنا بغم الأنبياء والرسل. فلنسمع له ولنؤمن به. إلى متى نعيش عبثًا؟ إن نحن أنفقنا الزمن الذي أُعطي لنا سُدىً، فسوف نمضي لننال العقاب الأخير بسبب هذا التبذير الباطل لما أُعطي لنا من زمن. **فإنّ الله** إنّما أدخلنا إلى هذه الحياة وأعطانا نفسًا عاقلة، لا لكي نستعمل هذه الحياة الحاضرة فقط، بل لكي نعمل جميعًا من أجل **اقتناء الحياة الآتية**. لأنّ غير العاقلين وحدهم يُستعملون للحياة الحاضرة فقط. أمّا نحن فلأنّ لنا **نفسًا خالدة**، فينبغي أن نفعل كلّ شيء لأجل تلك الحياة، لكي نُشرق هناك، ونشترك في **المراتب الملائكية**، ونكون قريبين من **الملك** إلى الأبد، في الدهور غير الفاسدة. ولهذا جُعِلت النفسُ خالدة، وسيقوم الجسد أيضًا من جديد. فإن كنت



«اهدأوا واعلموا أيّ أنا الله» (مزمو ٤٥ : ١١)

«بصبركم اقتنوا أنفسكم.» (لوقا ٢١ : ١٩)

«بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله.» (أع ١٤ : ٢٢)

يسير الإنسان في هذا العالم بأفكار كثيرة وضجيج داخلي، ظانًا أنّ القوّة تكمن في الاستعراض، وأنّ النجاح في السرعة. غير أنّ خبرة الحياة الروحية تُعلّم أنّ الحكمة الحقيقية تولد في الهدوء، هناك حيث يتنقى الذهن وتستتير القلب **بنعمة الله**. ويعلم القديس إسحق السوري أنّ الصمت هو سرّ **الدهر الآتي**، أمّا الكلام فهو أداة هذا العالم الحاضر. فعندما يتعلّم الإنسان أن يصمت أمام الله، يبدأ حينئذٍ أن يسمع الحقّ.

الفصل العاشر - تنمة

وفي العام التالي اضطرب الوضع السياسي في بلدنا، فأدّى إلى النكبات. وكانت إحدى أعظم هذه النكبات وأكثرها هولاً الانقسام بين اليونانيين الذي أدى إلى سفك الدماء وذرّف الدموع.

وفي ذلك الحين، وبينما كانت قد انتشرت شائعة مفادها أنّ المتروبوليت سيحضر إلى الدير برفقة عضوين من المجمع المقدّس لحلّ القضية التي تكلمنا عنها آنفاً، شاعت أخبار الحصار من قبل الفرنسيين والإنكليز. ثمّ علّم أن ثيوكليطس قد خضع لضغوطات عدّة؛ فأنجز

بالسياسة إلى درجة إلقائه الحرم على الرئيس فينيزيلوس بشكل رسمي، واجتذب كامل المجمع المقدّس إلى صفّه لِمَا كان له من نفوذ. وكانت النتيجة أنّه عندما فاز حزب الرئيس فينيزيلوس وتبع البلد كلّ الفرنسيين والإنكليز الذين انتصروا، انعقدت محكمة إكليريكية عليا وأدانت ثيوكليطس وجميع أعضاء المجمع المقدّس وعزلتهم كلّهم. وحتى ذلك الوقت كان ثيوكليطس يرسل إلى الدير كلّ شهر تقريباً أرشمندريتاً مكلفاً بالتحقيق، فيزجّ أنفه في كلّ مكان ويجمع الإفادات حسب مزاجه.

وبعد سنة تقريباً اعتلى ملاتيوس ميتاكساكيس كرسيّ أثينا بعد أن كان متروبوليت كيتي في قبرص، وقد صار فيما بعد بطريركاً على القسطنطينية أولاً ثم على الإسكندرية.

وأدّت جميع الأحداث التاريخية غير المنتظرة إلى تهدئة روع سكان الدير لبعض الوقت. وتمكّنوا خلال تلك الفترة التي تفاقمت فيها المجاعة، وفُرض فيها الانكليز الحصار البحري، أن يكتفوا بالقليل متفادين الخوف والقلق والموت. لقد كان دائماً على طاولتهم طبق ساخن يكتفيهم للصمود والبقاء بصحّة جيّدة، من جهة بفضل غلال حقولهم، ومن جهة أخرى بفضل المساعي الفعّالة التي كان يبذلها كوستي ساكوبولوس، الذي انتقل من مصرف إميريكوس للعمل في وزارة التموين كموظّف منتدب؛ وكان تارةً يحضر القمح وتارةً أخرى الخضار الجفّفة. وأيضاً بفضل التبرّعات الكثيرة غير المنقطعة من الأصدقاء.

وهكذا يمكننا القول إنّهم عاشوا في زاويتهم الصغيرة في إيجينا بالأمل الهادئ، خلال كل تلك الفترة التي كانت مأساوية ومضطربة بالنسبة إلى العالم أجمع.

وكانت الحياة الروحية المرتكزة على دراسة الكتاب المقدّس وخدمة الأسرار المقدّسة، والنسك الرهباني والصلاة، تنتزع الأهواء وروح الشقاق وأدزّان العُزور من جميع القلوب حتى أكثرها ضعفاً.

وتجاوز المؤسس والشيخ الروحي عامه السبعين وصار شعره يضاوي بياضه بياض أشرعة المراكب. وعندما كان يقيم الخدم الليتورجية،



القديس نكتاريوس العجائبي

وخصوصاً القدّاس السابق تقدّسه، كان يشعر بأنّه اقترب من الرحلة الكبيرة. وكثيراً ما كان يشاهد الرؤى التي يلتقي فيها بالشهداء الأبطال المحبّين إليه. وكانت تظهر له الملائكة ويرى صوراً سماوية، لكنّه لم يكن يقول عنها شيئاً. لم يكن يقول شيئاً لأحد، كان فقط ينحني بتقوى، ويركع بصعوبة ويقبل المصلوب بعينين دامعتين. وكانوا يسمعونه يتمتم من خلال دموعه هذه الكلمات: «يا مصدر كل النعم، أيها المختصّ، الحمل المذبح وابن العذراء.»

وكان مرّة في دفن كاهن من إيجينا، فأراه بعض

أولاد الشاطي مرتفعاً عن الأرض مسافة متر تقريباً، فخافوا وركضوا إلى أمهاتهم يخبرونهنّ بالأمر. فذهلت الأمهات ورسمن إشارة الصليب.

كان ذلك بالتحديد خلال مأتم الأب نيقولاوس موستاتسوس، كاهن كنيسة القديس نيقولاوس الأثرية القريبة من الشاطي. وكان هذا الكاهن قد ألحق بالكنيسة منذ زمن طويل. وقد ماتت زوجته قبل أن يزرق أولاداً. وكان رجلاً الله بحقّ، يحسّ بما هو خارج هذا العالم، منجذباً إلى الملكوت اللامنظور، وصاحب قلب طيب وعذب مثل عشب الربيع. وقد أحبّ الأولاد الذين حُرم منهم، وخصوصاً أولاد الصيادين الفقراء، ولا سيّما صيادي الإسفنج. فكان يجمع لهم حبات الخلوى من جميع الأعراس، ويضعها في أكياس صغيرة، ثمّ يذهب ويوزّعها عليهم بحنان أبوي، منتقلاً من مركب إلى آخر.

وكانت نفوس هؤلاء الأولاد التي ذاقت العذاب في وقت مبكر، تشعر بحضور هذا الكاهن وكأنه أمّ. وفي صباح أحد الايام، وعندما ذاع خبر موته حزن جميع الأولاد الفقراء، جميع أولاد الصيادين، ولا سيّما صيادي الإسفنج، وبدت عليهم ملامح التفكير الجدّي. لقد أحسّوا بخوف غريب أمام مظهر الموت والألم العميق. وقد حضر دفن الأب نيقولاوس أكثر من مئة وخمسين ولداً أتوا عفويّاً.

وكثيراً ما كان الأب نيقولاوس يستأجر حملاً ويذهب لزيارة مؤسس الدير الجديد خلال سنواته الأخيرة. وقيل إنّ كان يعترف لنكتاريوس.

وقد يكون لهذا السبب أو لسبب آخر أن دعا إكليروس الجزيرة نكتاريوس للمشاركة في خدمة الجناز. إلا أن أولاد الشاطي، هؤلاء الأولاد الذين عانوا كثيراً من مآسي الحرب، وارتموا باكراً في صراعات البحر، قد رأوه بقرب التابوت وقد ارتفع عن الأرض حوالي المتر وخافوا. وتناولت الأشعار الشعبية هذا الحدث وحولته إلى أغنية تناقلها الناس بسرعة على هذا الشكل: «الأب نيقولاوس الرحيم، أسلم الروح ورحل؛ والأسقف الراهب، المتوشّح بالذهب، طار في العلى.»

يتبع في العدد القادم



في صعود ربنا يسوع المسيح الإلهي المقدس

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

بنفسه، بل لكي إذا سمع الآخرون هذه الأسباب صاروا أحكم وأكثر تَعَقُّلاً. ولكن، كما قلت سابقاً، بلغ فساد الجنس البشري في البدء حداً جعله مُهدِّداً بأن يُمحي حتى من على وجه الأرض.

أما نحن الذين ظهرنا غير مستحقين للأرض، فقد **صعدنا اليوم إلى السماوات**؛ نحن الذين لم نكن أهلاً لأن نتسلط على الأرض، رُفِعنا إلى الملكوت السماوي؛ تجاوزنا السماوات، وبلغنا **إلى عرش الله**. والجنس الذي كانت الكروبيم تحرس الفردوس بسببه، صار اليوم جالساً فوق الكروبيم.

ولكن كيف جرى هذا الأمر العجيب والعظيم؟ كيف نحن الخطاة، الذين ظهرنا غير مستحقين حتى للأرض وفقدنا سلطاننا عليها، **ارتفعنا إلى هذا السموّ العظيم**؟ كيف أبطلت الحرب؟ كيف زال الغضب؟ كيف؟ هذا هو العجيب بعينه: أن السلام لم يتم لأننا نحن تضرّعنا، نحن الذين كنّا، بغير حق، في موقف **العداء تجاه الله**، بل لأنّ ذاك الذي كان يغضب بحق هو نفسه الذي بادر وناشدنا، فهكذا تمّ السلام. «إِذَا نَسَعَى كَسْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعِظُ بِنَا.» (٢ كور ٥: ٢٠). ماذا يعني هذا؟ أهذا الذي أهين هو نفسه يناشد؟ نعم، **لأنّ الله**، ولذلك فهو، **كأبٍ محبّ للبشر**، يتنازل **ويدعو**.

وتأمّل ما جرى: **إنّ الوسيط هو ابنُ الله**، ذاك الذي تشفّع من أجلنا. لم يكن إنساناً، ولا ملاكاً، ولا رئيس ملائكة، ولا أحدًا من الخدام. وماذا يصنع الوسيط؟ إنّه يقوم بوظيفة الوساطة ذاتها. فكما أنّ شخصين إذا تقاتلا وأبغض أحدهما الآخر، ولم يرضيا بالمصالحة، يتدخل ثالث ويقف بينهما فيزيل العداوة؛ هكذا **فعل المسيح** أيضاً. **كان الله غاضباً علينا**، ونحن كنّا نبغض **الله**، **الربّ المحبّ للبشر**؛ **فجاء المسيح** ودخل بيننا وصالح بين الطرفين. وكيف دخل بينهما؟ بأن قَبِلَ العقوبة محتملاً إيّاهما، واحتمل كذلك إهانات البشر. أتريد أن تعرف كيف احتمل الأمرين معاً؟ **يقول بولس**: «**الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ**

ما هو هذا العيد الذي نحتفل به اليوم؟ إنّه عيدٌ جليلٌ ومهيّبٌ، أيّها الحبيب، يسمو فوق العقل البشري، وهو جديرٌ **بسحاء الله** الذي ربّته وأقامه. لأنّه اليوم تمّت مصالحة **بين الله** والجنس البشري؛ اليوم انحلّت العداوة القديمة، وانتهت الحرب الممتدة منذ القديم؛ اليوم تحقّق سلامٌ عجيب لم يكن البشر ينتظرونه قطّ.

فمن ذا الذي كان يرتجي أن **يتصالح الله** مع الإنسان؟ ليس لأنّ **السيد** كان يُبغض الإنسان، بل لأنّ العبد كان مهملًا؛ وليس لأنّ **الربّ** كان قاسيًا، بل لأنّ الخادم كان جاحدًا.

أترغب أن تتعلّم كيف أغضبنا **سيدنا هذا المحبّ للبشر والصالح**؟ لأنّه ينبغي لك حقًا أن تعرف سبب العداوة السابقة، لكي إذا رأيت أنّه أكرمنا ونحن أعداؤه ومقاوموه، تُذهل من محبّته للبشر، ولا تظنّ أنّ هذا التحوّل قد تمّ بأعمالٍ منّا، بل، بعدما تعرف عظم نعمته، لا تكفّ عن شكره دائمًا على كثرة عطاياه.

أتريد إذا أن تعرف كيف أغضبنا **ربنا المحبّ للبشر، الوديع، الصالح**، ذاك الذي يدبّر كلّ شيءٍ لأجل خلاصنا؟ لقد شاءَ يومًا أن يُفني الجنس البشريّ كلّهُ إفناءً تامًّا، واشتدّ غضبه علينا حتى أراد أن يهلكنا مع النساء والأطفال، ومع الوحوش والبهائم، بل ومع الأرض كلّها.

وإن شئت، أسمعك نصّ هذا الحكم أيضًا: «**لأني سأحوّ**»، **يقول الله**، «**أُحَوِّ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِ وَدَبَابَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لَأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُ» (تك ٦: ٧).** ولكي تعلم أنّه لم يكن يُبغض الطبيعة البشريّة، بل كان يمقت الشرّ، فإنّ الذي قال: «**أُحَوِّ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ**»، هو نفسه يقول للإنسان ما معناه: **ارجعوا إليّ**. فلو كان يُبغض الإنسان، لما كان يدخل معه في حوار. أمّا الآن فأنت تراه لا يريد أن يصنع ما هدّد به، بل **وترى الربّ** نفسه يبيّن لعبده الأسباب، ويتكلّم معه كما يُخاطب صديقًا مقربًا، ويذكر دواعي الهلاك الآتي، لا لكي يتعلّم الإنسان السبب

التَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنا» (غلاطية ٣: ١٣).

ولأي طبيعة قال الله: «اجلس عن يميني؟» لتلك الطبيعة التي قيل عنها: «لأنك تُرابٌ، وإلى تُرابٍ تُعودُ» (تك ٣: ١٩) (٢).

أفلم يكن كافيًا أنّها صعدت فوق السماوات؟ أفلم يكن كافيًا أنّها وقفت مع الملائكة؟ أليست هذه كرامة لا تُقاس؟ لكنها تجاوزت الملائكة، وتخطت رؤساء الملائكة، وعلت على الكروبيم، وارتفعت فوق السرافيم، واجتازت الرئاسات، ولم تتوقف في أي موضع، إلى أن اقتربت من عرش الله. ألا ترى المسافة بين السماء والأرض؟ بل لنبدأ من الأسفل: ألا ترى كم هي المسافة من الهاوية إلى الأرض؟ ومن الأرض إلى السماء؟ ومن السماء إلى السماء العليا؟ ومن هناك إلى الملائكة، فرؤساء الملائكة، فالقوّات السماوية، ثم إلى عرش الله نفسه؟ في هذا الامتداد كله، وفي هذا العلوّ كله، رفع الجنس البشري.

تأمل أين كان في الأسفل، وإلى أين ارتفع. فلم يكن يوجد موضع أخفض لينحدر إليه الإنسان ممّا انحدر إليه، ولا موضع أعلى ليرتفع إليه ممّا رفعه إليه يسوع من جديد. ولهذا كان بولس يعلن قائلاً: «وأما أنّهُ صَعِدَ»، فما هو إلاّ أنّه نَزَلَ أيضًا أوّلًا» وإلى أين نزل؟ «إلى أفسام الأرض السفلى». (أف ٤: ٩)، ثم «صعد أيضًا فوق جميع السماوات». تعلم من الذي صعد، وما هي طبيعته، وكيف كان شأنه قبل الانحدار. لأنني أسرّ بالتأمل في ضعة الجنس البشري، لكي أفهم على وجه أوفى الكرامة التي منحناها لنا محبة الرب للبشر. لقد كنّا ترابًا ورمادًا. غير أنّ هذا في ذاته لم يكن مدعاةً للوم، لأنّه ضعف الطبيعة.

لكننا تصرّفنا بحماقة أشدّ من الحيوانات. «والإنسان إذ كان في كرامة ولم يفهم، أقيس بالبهائم التي لا عقل لها، وشبه بها». (مز ٤٨: ٢٠). غير أنّ صبروته شبيهاً بالحيوانات لا تعني أنّه صار مساويًا لها، بل إنّهُ صار أردأ منها. لأنّ الحيوان لا عقل له بحسب طبيعته، ومن الطبيعي أن يبقى في حدود هذه اللامعقوليّة؛ أمّا نحن، الذين أكرمنا الله بالعقل، فإذا هبطنا إلى هذا الانحراف، فذلك جريمة إرادتنا. لذلك حين تسمع أنّ الإنسان صار شبيهاً بالحيوانات، فلا تظنّ أنّ الكلام قيل ليدلّ على مساواة، بل ليبرهن أنّنا صرنا أسوأ منها.

وفي الحقيقة صرنا أردأ وأكثر بلادةً من الحيوانات، لا لأننا بشرٌ فقط وقد انحدرنا، بل لأننا بلغنا أيضًا إلى جحودٍ أعظم. وهذا ما يعلنه إشعياء بقوله: «التور يعرف قانيه، والحمار مغلّف صاحبه، أمّا إسرائيل فلا يعرفني». (إش ١: ٣).

ولكن لا ينبغي أن نستغرق في الخجل من الأمور السابقة. «ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جدًّا». (رومية ٥: ٢٠).

أرأيت كيف كنّا أجهل من الحيوانات؟ أتريد أن ترى أنّنا كنّا أجهل من الطيور أيضًا؟ «والليّامة والسُّنُونُة المُرَقَرَّة حَفِظْنَا وَت جِيئِهِمَا. أمّا شعبي فلم يعرف قضاء الرب!» (إر ٨: ٧). ها نحن إذًا قد صرنا أجهل من الحمير والثيران، ومن الطيور أيضًا، من اليمام والسنونو.

أتريد أن تعرف جهالةً أخرى فينا؟ لقد صرنا تلاميذ للنمل، إلى هذا الحدّ فقدنا العقل المغروس في طبيعتنا. لأنّه يقول: «أذهب إلى النملة أيّها الكسّان. تأمل طرقها وكن حكيماً». (أم ٦: ٦). لقد صرنا تلاميذ

وأرأيت كيف قيل واحتمل العقوبة التي نزلت من السماء؟ وانتبه أيضًا كيف احتمل الإهانات التي أنزلها به البشر: «تغيّرات مُعَيَّرِكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» (رومية ١٥: ٣). أرأيت كيف أزال العداوة؟ وكيف لم يتوقّف عن العمل، ولا عن التأمّل، ولا عن الاهتمام، حتّى رفع الطبيعة البشرية إلى الله، بعد أن كانت عدوّةً ومُناوئَةً، وجعلها صديقةً؟ وأساس هذه الخيرات كلّها هو هذا اليوم الحاضر، لأنّه بعدما أخذ من الطبيعة البشرية باكورةً مختارة، قدّمها لله.

وما يحدث في الحقول المزروعة بالقمح، حين يأخذ أحدهم قليلًا من السنابل، ويصنع منها حزمةً صغيرة، ويقدمها لله، فيبارك الله بهذه الحزمة الصغيرة الحقل كلّهُ، هذا بعينه فعله المسيح. فبذلك الجسد الواحد، وبتلك التقدمة المختارة، جعل الجنس البشري كلّهُ مباركًا.

ولكن لماذا لم يُصعد إلى السماوات الجنس البشري كلّهُ؟ لأنّه عندئذٍ لا تعود هذه تقدمة. فالتقدمة تكون حين يُقدّم جزءٌ صغير، فينال الكلّ البركة بسببه. لكن قد يقول قائل: إن كانت هذه باكورة، فكان ينبغي أن يُقدّم الإنسان الأوّل، لأنّ الباكورة هي ما خرج أوّلًا ونما أوّلًا. ليس هذا، أيّها الحبيب، هو معنى الباكورة: فليست الباكورة أن تُقدّم الثمر الأوّل ولو كان فاسدًا أو مريضًا، بل أن تُقدّم الثمر المختار. ولأنّ ذاك الثمر الأوّل كان مربوطًا بالخطيئة، لذلك لم يُقدّم، وإن كان هو الأوّل في الزمن. أمّا هذا (يسوع المسيح)، فإذا كان منزّهًا عن الخطيئة، فقد قدّم، وإن كان متأخرًا بحسب الترتيب الزمني. فهذا هو معنى الباكورة.

ولكي تعلم أنّ الباكورة ليست أوّل ثمرة يظهر، بل الثمر الممتاز، الجيد، الناضج كما ينبغي، أقدم لك البرهان من الكتاب المقدّس. يقول موسى للشعب: «إذا دخلت أرض الموعد التي يعطيك إياها الربّ إلهك، وغرست فيها كلّ شجرة مثمرة، فلا تعتبر ثمرها طاهرًا ثلاث سنين، وأمّا في السنة الرابعة فيكون ثمرها مقدّسًا لتقدمه للربّ» (سفر اللاويين - السبعينية ١٩: ٢٣-٢٤). فلو كانت الباكورة هي الثمر الأوّل، أعني ما يظهر في السنة الأولى، لكان هذا هو الذي يجب أن يُقدّم للربّ. أمّا الآن فهو يقول: «ثلاث سنين تكون لكم غلّاء. لا يؤكل منها». بل اتركه، لأنّ الشجرة لم تبلغ تمامها بعد، والثمر لا يزال ناقصًا، غير ناضج كما ينبغي. أمّا بعدها، فيقول: «وفي السنّة الرابعة يكون كلّ ثمرها قدسًا لتمجيد الربّ».

وتأمل حكمة المشتري. إنّهُ لا يترك الإنسان يأكل من الثمر (١)، لكيلا يذوقه قبل الله؛ ولا يسمح له أيضًا أن يقدمه، لكيلا يقدمه للربّ قبل أوانه. بل كأنّه يقول: دعه، لأنّه الأوّل، ولكن لا تقدمه، لأنّه غير أهل بعد لأن يُكرم الله. أرأيت إذًا أنّ الباكورة ليست الأوّل زمنيًا، بل الممتاز نوعيًا؟ وقد قلنا هذا كلّهُ عن الجسد البشري الذي قدّمه المسيح للآب. فقد قدّم للآب باكورة الجنس البشري المختارة.

وقد أعجب الآب بهذه التقدمة إلى هذا الحدّ، سواء بسبب كرامة الذي قدّمها، أو بسبب طهارة التقدمة وعدم دنسها، حتّى إنّهُ تقبلها بيديه، وأجلسها بقربه، وقال له: «اجلس عن يميني» (مز ١٠٩: ١).

للنمل، نحن الذين خلقنا على صورة الله. وليس الخالق هو السبب، بل نحن الذين ابتعدنا عن الصورة.

ولماذا أذكر النمل فقط؟ لقد صرنا أكثر بلادةً من الحجارة. أتريد برهاناً على هذا أيضاً؟ «اسمعي أيتها الأودية ويا أسس الأرض، فإن للرب محكمة مع شعبه» (مخا: السبعينية بتصرف)، «اسمعي يا جبال خضومة الرب، ويا أسس الأرض الدائمة، فإن للرب محكمة مع شعبه، وهو يحاكم إسرائيل». (مخا ٦: ٢). أتحاكم البشر وتستدعي أسس الأرض؟ نعم، يقول، لأن البشر صاروا أكثر بلادةً من أسس الأرض. فأني شرٌ أعظم تطلب بعد هذا، ونحن أكثر بلادةً من الحمير، وأشدّ جهالةً من اليمام، وأقلّ عقلاً من النمل، وأكثر قساوةً من الحجارة؟ بل لقد ظهرنا شبيهين أيضاً بالأفاعي: «سُمُّ الأفاعي تحث شفاهيم» (مزمور ١٣٩: ٣). وما حاجتنا إلى الإطالة في وصف بلادة الحيوانات، فيما الأمر قد بلغ إلى أن ندعى أبناء إبليس نفسه؟ لأنه يقول: «أنتم أولاد إبليس»، «أنتم من أب هو إبليس» (يوحنا ٨: ٤٤).

ولكن نحن، هؤلاء البُلْدَاءُ والجاحدون، هؤلاء الجهال، الأشدّ بلادةً من الحجارة، والأردأ من الجميع، والمساكين، والأحقر من الكلّ - كيف أتكلّم؟ ماذا أقول؟ كيف أخرج من فمي مثل هذه الألفاظ؟ - نحن هؤلاء الحقيرون أنفسنا صرنا اليوم أعلى من الجميع.

اليوم نال الملائكة ما كانوا يشتهونه منذ زمنٍ طويل. اليوم رأى رؤساء الملائكة ما كانوا يترقبونه منذ أمدٍ بعيد: رأوا الإنسان يلمع بقرب عرش الله، ويشعُّ بمجدٍ وجمالٍ غيرٍ مائتين. هذا هو ما كانت الملائكة تشتهي منذ زمنٍ بعيد، وهذا هو ما كان رؤساء الملائكة يتوقون إليه.

والحقُّ أنّ كرامة الإنسان، وإن كانت أعلى من كرامتهم، إلا أنّهم كانوا يفرحون بخيراتنا، ويتألّمون حين كنّا نُعاقب. فالكروبيم، وإن كانوا يحرسون الفردوس، إلا أنّهم كانوا يتألّمون أيضاً. وكما أنّ خادماً إذا رأى رفيقه في السجن، فإنّه، وإن كان يحرسه تنفيذاً لأمر سيّده، يتألّم مع ذلك شفقةً عليه؛ كذلك الكروبيم، مع أنّهم أقيموا لحراسة الفردوس، كانوا يتألّمون من أجل أسر الإنسان. ولكي تعلم أنّهم كانوا يتألّمون، أبرهن لك ذلك من البشر. لأنك إذا رأيت البشر يشفقون على بني جنسهم، فلا تعد تشكّ في الكروبيم، لأنّ تلك القوّات أشدّ حناناً من البشر. فأني إنسانٍ صالح لا يتألّم حين يرى أناساً يعاقبون بحسب الناموس، ولو بعد خطايا كثيرة؟ والعجيب أنّ الملائكة، مع علمهم بخطايا البشر ومعابنتهم تمرّدهم على الله، تألّموا من أجلهم.

لقد تألّم موسى بعد عبادة بني إسرائيل للأوثان، ولذلك قال: «إن غفرت لهم خطيئتهم فاغفرها، وإلا فامحني أنا أيضاً من كتابك الذي كتبت» (سبعينية بتصرف)، «والآن إن غفرت خطيئتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر ٣٢: ٣٢). ماذا يعني هذا؟ أتعين شرهم ثم تتألّم لأجل الذين يعاقبون؟ نعم، يقول، أتألّم لأنهم يعاقبون، ولأنهم أعطوا أسباباً لعقوباتٍ عادلة. وكذلك حزقيال، حين رأى الملاك يهلك الناس، صرخ وبكى وقال: «آه، يا سيّد الرب! هل أنت مهلك بقية إسرائيل؟» (حزقيال ٩: ٨). وإرميا أيضاً يقول: «أدبني يا رب ولكن

بالحقّ، لا بعصبيك لئلا تُفنييني». (إر ١٠: ٢٤).

فإذا كان موسى وحزقيال وإرميا يتألّمون، أفلا تكون قوّات السماء قد تألّمت من أجل شرونا؟ وكيف يمكن أن يُقبَل غير ذلك؟ وأنهم يعدّون ما لنا كأنه لهم، تعلّمه من مقدار الفرح الذي أظهره حين رأوا الرب قد تصالح معنا. لأنهم لو لم يكونوا قد تألّموا سابقاً، لما كانوا قد فرحوا لاحقاً. وأنهم فرحوا، فهذا واضحٌ ممّا يقوله السيّد المسيح: «يكون فرح في السماء بخاطي واحد يتوب»، (لو ١٥: ٧). فإذا كانت الملائكة تفرح بخاطي واحد يتوب، فكم بالحريّ اليوم، حين ترى الجنس البشريّ كله يرتفع إلى السماء في باكورته المختارة، كيف لا تغمرها أعظم فرحة؟

واسمع أيضاً من موضع آخر عن فرح القوّات السماوية بمصالحتنا. لأنّ ربنا حين وُلد في الجسد، ولمّا رأت الملائكة أنّه قد تصالح مع البشر - إذ ما كان لينزل إلى الأرض لو لم تتمّ المصالحة - عندئذٍ أقامت جوقاً على الأرض وهتفت قائلة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلاّم، وبالناس المسرّة» (لو ٢: ١٤). ولكي تعلم أنّهم يمجّدون الله لهذا السبب، أي لأنّ الأرض نالت الخيرات، أضافوا العلة نفسها قائلين: «وعلى الأرض السلاّم، وبالناس المسرّة»، أي في أولئك الذين كانوا قبلاً أعداءً لله وجاحدين. أرايت كيف يمجّدون الله من أجل خيراتنا؟ بل بالحريّ من أجل خيراتهم هم، لأنّهم يعدّون خيراتنا كأنّها خيراتهم.

أتريد أن تعرف أنّهم كانوا أيضاً يفرحون ويتهلّلون حين كانوا مزمعين أن يروا الربّ صاعداً إلى السماوات؟ اسمع المسيح وهو يقول إنّهم كانوا يصعدون وينزلون باستمرار، وهذا دليلٌ على اشتياقهم إلى رؤية هذا المنظر العجيب. ومن أين يظهر أنّهم كانوا يصعدون وينزلون؟ اسمعه يقول: «من الآن تروون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو ١: ٥١). فهذه عادةً المحبين: لا ينتظرون الموعد، بل يسبقونه فرحاً. لذلك كانوا ينزلون، لأنّهم كانوا يسرعون لرؤية ذلك المشهد الجديد العجيب، أي الإنسان ظاهراً في السماء. ولهذا كانت الملائكة حاضرةً في كلّ مكان: عند ميلاده، وعند قيامته، واليوم أيضاً عند صعوده إلى السماوات. ولذلك يقول لوقا الإنجيلي: «إذا رجّلان قد وقفا بهم بلباس أبيض» (أع ١: ١٠)، وكان منظرهما نفسه يعلن الفرح، وقالوا للتلاميذ: «أيّها الرجال الجليليون، ما بالكُم وإقفين تنظرون إلى السماء؟ إنّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع ١: ١١).

وهنا أرجوكم أن تنتبهوا انتباهاً شديداً. لماذا قالت الملائكة هذا؟ ألعن التلاميذ لم تكن لهم عيون؟ ألعنهم لم يروا ما كان يحدث؟ ألم يقل الإنجيليّ إنّهُ ارتفع وهم ينظرون؟ فلماذا إذاً وقفت الملائكة بجانبهم تقول إنّهُ صعد إلى السماء؟ لسببين: الأول، لأنّ التلاميذ كانوا دائماً يحزنون على مفارقة المسيح. وأنّهم كانوا يحزنون حقّاً، اسمع ما كان يقوله لهم: «وليس أحدٌ منكم يسألني: أين تمضي؟ لكنّ لأني قلتُ لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم». (يوحنا ١٦: ٥-٦).

فإذا كنّا نحن لا نحتمل فراق أصدقائنا وأقربائنا، فكيف لم يكن التلاميذ ليحزنوا وهم يرون المخلص، والمعلم، والمعين، والمحِبّ للبشر، والوديع،

السحب. فكما أنّ الملك إذا قَدِمَ إلى مدينة، خرج إليه الولاة والعظماء والمقربون منه لاستقباله خارج المدينة، أمّا المحكوم عليهم والمودعون في السجون فيبقون هناك منتظرين حكم الملك؛ هكذا أيضًا، عندما يأتي الرب، يخرج للقاءه في الهواء الذين لهم دالة، أمّا المجرمون والذين يشعرون بنقل خطاياهم في ضمائرهم، فيبقون على الأرض ينتظرون **الديان**.

وعندئذٍ نحن أيضًا سنُختطف إلى السماء. وأنا حين أقول: نحن، لا أقول هذا وكأني أضع نفسي بين المختطفين، فلستُ إلى هذا الحدّ علمَ الحسّ أو جاحدًا بحيث أجهل خطاياي. لأني لو لم أخش أن أفسد فرح هذا العيد، لسكبْتُ دموعًا مُرة وأنا أتذكر هذه الكلمات، لأني تذكّرتُ خطاياي الخاصة. ولكن بما أتي لا أريد أن أزعج فرح هذا العيد، فسأقف هنا في حديثي، بعدما أترك فيكم ذكرى حيّةً لذلك اليوم، لكيلا يفتخر الغنيّ بغناه، ولا يعدّ الفقير نفسه بائسًا بسبب فقره، **بل ليعمل كل واحد بحسب ضميره**. لأنّ الغنيّ ليس سعيدًا لمجرد غناه، ولا الفقير بائسًا لمجرد فقره، **بل السعيد والمثلث السعادة هو من يُحسب أهلًا لذلك الاختطاف في السحب**، ولو كان أفقر الناس جميعًا. وكذلك الشقي والمثلث الشقاء هو الخاطي، ولو كان أغنى الناس كلهم. ولهذا أقول هذه الأمور، لكي نبكي على أنفسنا نحن الخطاة، **ولكي يتشجع الذين يجاهدون ضدّ الخطيئة؛ بل لا لكي يتشجعوا فقط، بل لكي يحترسوا أيضًا؛ ولا لكي يبكي أولئك فقط، بل لكي يغيروا سيرتهم**.

لأنّه يمكن للشّير أيضًا، إذا ترك شرّه، أن يرجع إلى الفضيلة، وأن يصير مساويًا لأولئك الذين عاشوا منذ البدء حياةً فاضلة. فلنهتم نحن أيضًا بهذا.

وأما الذين يشعرون بأنهم يسلكون في الفضيلة، فليثبتوا في التقوى، منتمين دائمًا هذا الاقتناء الصالح، ومزيدين الجرأة الروحية التي سبق فاقتنوها.

وأما نحن الذين لا جرأة لنا، ونشعر بنقل خطايانا الكثيرة، فلنبذل سيرتنا، لكي، بعدما نفتني جرأة الآخرين، نستقبل جميعًا معًا، وبنفس واحدة، وبالإكرام اللائق، **ملك الملائكة، وننال ذلك الفرح المطوّب، بمعونة ربنا يسوع المسيح، الذي له، مع الآب والروح القدس، المجد والقدرة، الآن وكلّ أوان، وإلى دهر الدهرين. آمين.**

١ : المقصود أنّ الثمر في السنوات الثلاث الأولى لا يؤكل، بل يُترك، وفي السنة الرابعة يُقدّم للربّ أولاً، ثم يُسمح بالأكل منه. وفي السنّة الخامسة تأكلون ثمرها، لتزيد لكم غلتها. أنا الربّ إلهكم.

٢ : «الذي قيل له: «اجلس عن يميني»، هو نفسه الذي رفع طبيعتنا معه إلى المجد.

والطبيعة التي سقطت إلى التراب، رُفعت في المسيح إلى المجد.»

٣ : في النصّ اليوناني تُستخدم كلمة (ὄσ) - أوس، وهي تعني «كأنه» أو «كما لو»، أي على سبيل التشبيه، لا التحقيق؛ لذلك يُقال إنّ إيليا صعد كأنه إلى السماء، أمّا المسيح فقد صعد إلى السماء **حقيقةً، دخولاً فعلياً إلى المجد الإلهي.**

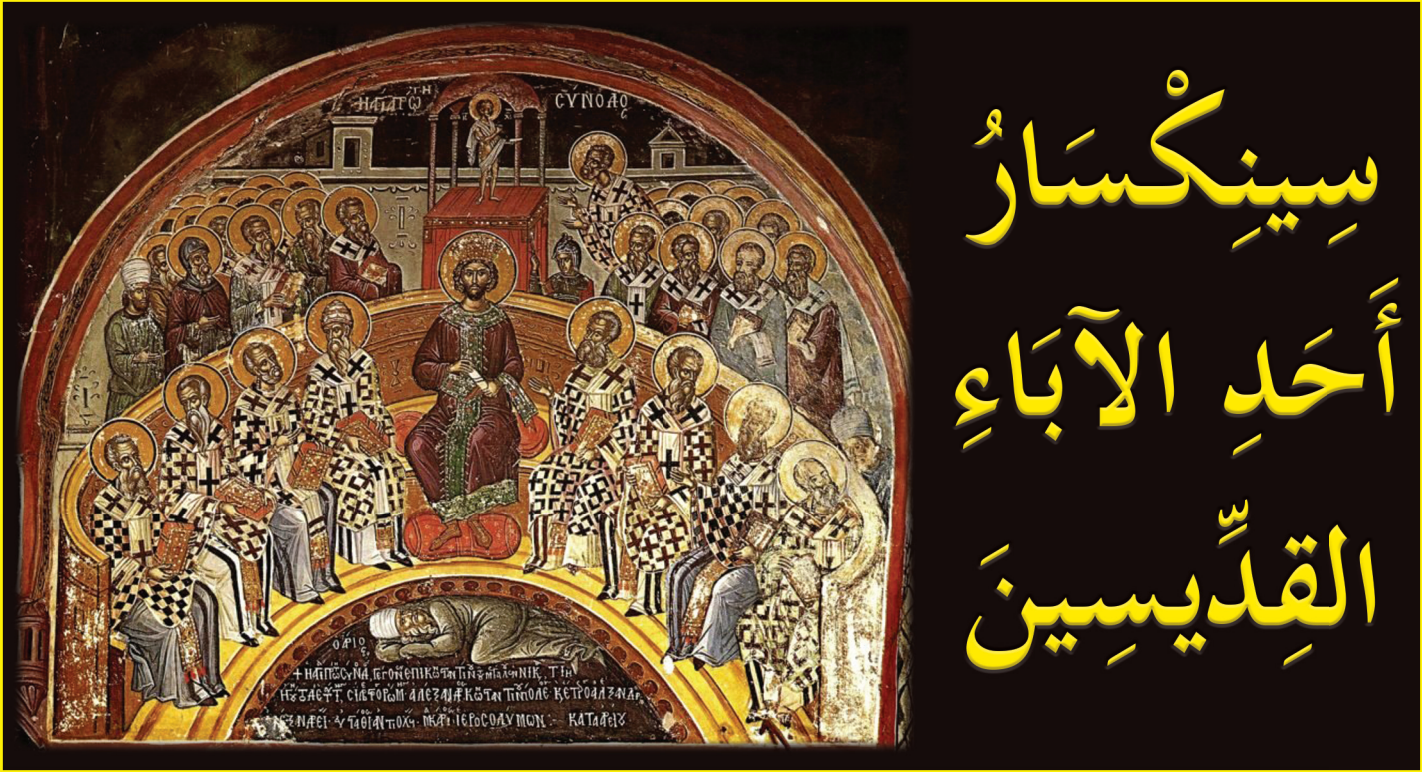
والصالح، يفارقهم؟ كيف لم يكونوا ليتألّموا؟ لذلك فوقف المَلَكَانِ هناك ليُسكّننا، بذكر **رجوع الرب**، الحزن الذي سببه رحيله. لأهما قالا: «إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال ١: ١١). أحنزنكم أنّه صعد؟ فلا تحزنوا بعد، لأنّه سيعود أيضًا. ولكيلا يفعلوا ما فعله **أليشع** حين رأى معلمه **إيليا النبي** يصعد إلى السماء فشقّ ثيابه - **لأنّه لم يكن هناك من يبلغه أنّ إيليا سيعود** - لكيلا يفعلوا هم أيضًا ذلك، لهذا وقفت الملائكة بالقرب منهم تعزيهم في حزنهم.

فهذا هو **السبب الأول** لحضور الملائكة. ويوجد **سبب ثانٍ** أيضًا، وليس أصغر من الأول، ولذلك أضافت: «الَّذِي ارْتَفَعَ». فمن هو هذا؟ **إنّه يسوع الذي ارتفع إلى السماء**. لكنّ المسافة كانت بعيدة، ولم تكن العيون البشرية قادرةً على متابعة الجسد المرتفع إلى هناك. وكما أنّ الطائر إذا حلّق في الأعالي، كلما ارتفع أكثر ازداد اختفاءً عن أنظارنا، هكذا أيضًا ذاك الجسد، كلما صعد إلى العلوّ أكثر، صار يختفي شيئًا فشيئًا، لأنّ ضعف أبصارهم لم يكن يقوى على تتبّعه عبر هذه المسافة كلّها. لذلك وقفت الملائكة بجانبهم لتقول **إنّه صعد إلى السماء**، لئلاّ يظنّوا أنّه صعد **كما صعد إيليا**، بل ليفهموا أنّه ارتفع إلى السماء عينها. ولهذا قالت: «الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ» (٣).

وهذا أيضًا لم يُضف عبثًا. فإيليا صعد نحو السماء، لأنّه كان إنسانًا. أمّا يسوع فقد صعد **إلى السماء**، لأنّه كان **إلهًا**. **إيليا** صعد في مركبة نارية، **أمّا يسوع ففي سحابة**. لأنّه حين أراد الله أن يدعو **إيليا**، أرسل مركبة؛ وأمّا حين استدعى ابنه، فأرسل **عرشًا ملوكيًا، بل عرش الآب نفسه**. لأنّ **إشعيا** يقول عن الآب: «هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ حَقِيقَةٍ» (أش ١٩: ١). **فيما أنّ الآب يركب على سحابة، لذلك أرسل للابن أيضًا السحابة. وإيليا، حين صعد إلى السماء، ترك لأليشع رداءه؛ أمّا يسوع، فلما صعد، ترك لتلاميذه المواهب التي صنعت لا أليشعًا واحدًا فقط، بل آلاف الأليشعين، بل أعظم وأسمى منه.**

فلنكفّ إذا، أيها الأحباء، ولنتوجّه بانتباهنا إلى **رجوع الرب**. لأنّ **بولس** أيضًا يقول: «لأنّ الربّ نفسه يهتاف، بصوت رئيس ملائكة وُتوق الله، سوف ينزل من السماء... ثمّ تحنّ الأحياء الباقين سنُختطف جميعًا معهم في السحب لِملاقاة الربّ في الهواء» (١٦-١٧: ٤). لكن ليس جميعنا. وأنّه ليس جميعنا سنُختطف، بل بعضٌ سيُتركون وبعضٌ سيُختطفون، اسمع **ما يقوله المسيح**: «حينئذٍ تكون امرأتان تطحنان على رحى واحدة، فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى. ويكون اثنان على سرير واحد، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر» (راجع متى ٢٤: ٤٠-٤١).

فما معنى هذه الكلمات الرمزية؟ وما الذي يريد هذا السرّ الخفي أن يقوله؟ لقد أشار بالرحى إلى الذين يعيشون في الفقر والتعب والشقاء، وبالسرير والراحة إلى الذين يعيشون في الغنى والكرامات. وإذا أراد أن يبيّن أنّ من بين الفقراء من يخلص ومن يهلك، وكذلك من بين الأغنياء، قال إنّ من الاثنتين على الرحى تُؤخذ الواحدة وتترك الأخرى؛ وكذلك من الاثنتين على السرير، يؤخذ الواحد ويترك الآخر. وهكذا يُظهر أنّ الخطاة يُتركون هنا لينتظروا العقاب، أمّا الأبرار فيُختطفون في



سِينِكْسَارُ أَحَدِ الْآبَاءِ الْقَدِيسِينَ

بوضوح في مجمل عمل وتدبير المسيح الخلاصي. وهذا بالضبط ما يشدّد عليه أيضاً سنكسار أحد الآباء القديسين، إذ يقول:

«إِنَّا نُعِيدُ هَذَا الْعِيدَ لِسَبَبِ كَهَذَا. لِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، بَعْدَمَا لَسَ جَسَدَنَا، أَمَّمْ كُلَّ التَّدْبِيرِ بِطَرِيقَةٍ لَا تُوصَفُ، ثُمَّ ارْتَقَى بِالْجَسَدِ وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ الْأَبَوِيِّ.»

أَرَادَ الْقَدِيسُونَ أَنْ يُظْهِرُوا أَنَّ ابْنَ اللَّهِ صَارَ حَقًّا إِنْسَانًا، وَأَنَّهُ، وَهُوَ إِلَهٌ كَامِلٌ، قَدْ صَعَدَ أَيْضًا إِنْسَانًا كَامِلًا، وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي، وَأَنَّ هَذَا الْمَجْمَعُ مِنَ الْآبَاءِ الْقَدِيسِينَ قَدْ نَادَى بِهِ هَكَذَا وَاعْتَرَفَ بِهِ، أَيَّ إِنَّهُ مُسَاوٍ لِلآبِ فِي الْجَوْهَرِ وَمُسَاوٍ لَهُ فِي الْكِرَامَةِ.

وَلِهَذَا السَّبَبِ أَقَامُوا بَعْدَ الصُّعُودِ الْمَجِيدِ هَذَا الْعِيدَ الْحَاضِرَ، لِيُظْهِرُوا هَذَا الْجُمُهورَ مِنَ الْآبَاءِ، وَيُبْرِزُوهُ أَمَامَ الْجَمِيعِ شُهُودًا لِلْحَقِّ، الْمُعْلِنِينَ أَنَّ هَذَا الَّذِي صَعَدَ بِالْجَسَدِ هُوَ إِلَهٌ حَقِيقِيٌّ، وَأَنَّهُ أَيْضًا إِنْسَانٌ كَامِلٌ بِالْجَسَدِ.»

وفي كنيسة الحكمة الإلهية، آيا صوفيا، في القسطنطينية، خلال القرنين العاشر والحادي عشر، كانوا يعيدون في هذا الأحد، إلى جانب آباء المجمع الأول، أيضاً لآباء المجمع المسكونية الستة الأخرى، وعلى ما يظهر للسبب نفسه، أي لكي تظَهَرُ وحدة التعليم الكنسي واتساقه مع تعليم الإنجيل. وأثر هذا الاحتفال المشترك نجده باقياً في **ذكصا اللبتي**. ففيها لا يُذكر آريوس فقط، بل أيضاً مقدونيوس، ونسطور، وأوطيخا، وسابيلوس، وساويروس، الذين أدانت تعاليمهم **المجامع المسكونية الأخرى**. لكن العيد احتفظ في النهاية بموضوعه الأول فقط، وهو تذكُّر الآباء الثلاثة عشر والثمانية عشر للمجمع المسكوني الأول.

ومن مجمل المحتوى الليتورجي لهذا اليوم، نتوقّف عند القراءتين في صلاة الغروب، والقراءتين في القداس الإلهي. فالقراءتان الأوليان مأخوذتان من العهد القديم، ولهما أهمية، لأن الكنيسة رأت في الأحداث التي تذكراها هناك صورةً للآباء ولدورهم في حياة الكنيسة.

في الأحد السادس بعد الفصح، تعيّد كنيستنا لذكرى الآباء القديسين الثلاثة عشر والثمانية عشر المتوشحين بالله، آباء المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية. وقد انعقد هذا المجمع العظيم، كما هو معروف، بدعوة من أول إمبراطور مسيحي، وهو قسطنطين العظيم، في نيقية بيشينية، في شهر أيار من سنة ٣٢٥، فدان بدعة آريوس، وأعلن أنّ المسيح إله مساوٍ للآب في الجوهر. وفي التاسع والعشرين من أيار نجد في كثير من المخطوطات مذكوراً تذكُّر آباء هذا المجمع.

أما الاحتفال بذكراهم في هذا الأحد الحاضر، فسببه، كما هو واضح، العادة المعروفة أيضاً في مواضع أخرى عند الكنيسة العظمى، وهي أن تنقل إلى أيام الأحاد تذكارات القديسين العظام. ولم يكن للأحد السادس بعد الفصح موضوع عيدٍ خاص، فاختر باعتباره الأنسب والأقرب إلى تذكُّر الآباء، لكي يُنقل إليه عيدهم.

وفي أحد الآباء القديسين سنسمع، مع خدمة القيامة المعتادة ليوم الأحد، تراتيل ما بعد عيد صعود الرب الذي عيّدناه، وكذلك تراتيل ما قبل عيد العنصرة الذي سنحتفل به بعد ثمانية أيام. وهكذا سترتل معاً في هذا الأحد الواقع بين هذه الأعياد العظيمة: القيامة، والصعود، والعنصرة، والآباء. ومع أنّ هذه الموضوعات الطقسية تبدو، للوهلة الأولى، غير متوافقة، فإنّ خدمة هذا اليوم لا تخلو من انسجامٍ خاص، تؤلّفه على وجه الدقة الفوارق نفسها والتقابلات بين هذه الموضوعات الجزئية. بل إنّنا، إذا وضعنا هذا الأحد في الإطار العام للبنديكستاري، أدركنا بأيّ رصانةٍ وهدوءٍ حكمٍ ربّنا واضعو تقويمنا الليتورجي هذا التعاقب في الأعياد. وبفضل موضوعات هذا الأحد بالذات يتحقّق قيامُ محطةٍ انتقاليةٍ بين الأعياد الكبرى التي احتفلنا بها، والعيد الذي نحن مقبلون عليه.

ومن جهةٍ أخرى، فإنّ تذكُّر آباء مجمع نيقية يُبرز أمانة الكنيسة للتعليم الحقّ المستقيم، كما سمعته من فم الربّ، وكما رآه مرسوماً

فلنطوب إذاً هذا الجمع المكرّم من الله، جوقّة الآباء القديسين، الذين اجتمعوا من أقاصي المسكونة، وحدّدوا التعليم القويم في شأن علاقة المسيح بالآب، أي المساواة في الجوهر، وصاغوا الإيمان المستقيم وسلّموه إلى الكنيسة. ومن تراتيل العيد لننظر إلى أبرزها، وهو **ذكصا الأينوس باللحن الثامن**، المشهور ببناؤه وبلحنه:

إنّ محفل الآباء القديسين قد اجتمع من أقطار المسكونة واعتقدوا بان للآب والابن والرّوح جوهرًا واحدًا وطبيعةً واحدة وسلّموا للبيعة سرّ التكلّم في اللاهوت بايضاح الذين نمدحهم ونعبطهم بايمان قائلين: يا معسكرًا الهيّا شريفًا يا مُدرّعين لاهوتيين لموكب الربّ يا نجومًا نيرةً للجدد العقلي يا أبرجةً منيعةً لصهيون السريّة يا ازهار الفردوس العطر تنسّمها يا افواه الكلمة الكليّ تذهبها فيا فخر نيقية وضياء المسكونة تشفّعوا بلا فتور من اجل نفوسنا.

فإذا كان أولئك الآباء القديسون قد اجتمعوا من أقاصي المسكونة، وجاهدوا بغيره إهيّة ليحفظوا الإيمان مستقيماً، ولم يخافوا تهديداً ولا اضطهاداً، بل أعلنوا الحقّ بجرأة، وثبتوا الكنيسة على صخرة الاعتراف القويم، فماذا نقول نحن الذين ورثنا هذا الإيمان حيّاً في الكنيسة؟

إنّهم لم يدافعوا عن كلماتٍ مجرّدة، ولا عن تعابير فلسفيّة، بل عن سرّ خلاصنا. **لأنّ الإيمان بأنّ الابن هو مساوٍ للآب في الجوهر هو الذي يضمن أنّ الذي تجسّد من أجلنا هو إلهٌ حقّ، وأنّ خلاصنا ليس وهمًا، بل حقيقة إهيّة ثابتة.**

فإن كان الآباء قد حفظوا الإيمان من البدعة، فلنحفظه نحن من الفتور.

وإن كانوا قد جاهدوا ضدّ التعليم المنحرف، فلنجاهد نحن ضدّ القلب المنقسم.

وإن كانوا قد ثبتوا في الحقّ حتى الموت، فلنثبت نحن في حياتنا اليوميّة، في فكرنا وكلامنا وأعمالنا.

لأنّ الخطر اليوم ليس فقط في البدعة الظاهرة، بل في أن نحيا وكأنّ المسيح ليس إلهًا حيًّا فينا. أن نعترف به بالشفتين، وننكره بالأعمال. أن نكون في الكنيسة بالجسد، وخارجها بالقلب.

فلنقتد إذاً بالآباء القديسين، لا في أقوالهم فقط، بل في غيرتهم، في أمانتهم، وفي محبتهم للحقّ. ولنحفظ الإيمان الذي سلّموه لنا، نقيًّا حيًّا عاملاً، لكي نستحقّ نحن أيضًا أن نكون شركاء لهم في المجد.

بشفاعاتهم، يا ربّ، ثبتت كنيستك، واحفظنا في الإيمان المستقيم، واجعلنا واحدًا فيك، كما أنت واحد مع الآب والرّوح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين. آمين.

في القراءة الأولى، من سفر التكوين (١٤: ١-٢٠)، يُوصف انتصار إبراهيم العجيب، إذ إنّه، وعلى رأس الثلاثمئة والثمانية عشر من خدّم بيته المولودين في داره، هزم الملوك المجاورين، وحزّر الأسرى، ونال على انتصاره بركة ملك ساليهم، ملكي صادق (ملك البرّ). وكذلك آباء المجمع المسكوبيّ الأول، وكانوا هم أيضًا ثلاثمئةً وثمانية عشر مثل خدّام إبراهيم، كانوا هم أيضًا معسكرًا إلهيًا وصفًا ربّانيًّا، سحقوا ببطولتهم التي لا تُقهر أعداء المسيح، فحطّموا البدعة وحزّروا المؤمنين الذين كانت قد اختطفتهم.

وفي القراءة الثانية، من سفر التثنية، (٨: ١-١٧)، يروي موسى النبي كيف اختار من الشعب «... رجالًا حُكَمَاءَ وَمَعْرُوفِينَ... وَعُرَفَاءَ»، وأقامهم لقيادة الشعب وتدييره. وهؤلاء أيضًا هم صورة للآباء، الذين ائتمنهم الربّ على رعاية الكنيسة. **فَعَلَيْهِمْ حَلٌّ مِنْ رُوحِ مُوسَى.** وإليهم **يُورَعُ الرّوح القدس** مواهب الحكمة وصواب الحكم

في القضايا المختلف عليها التي تظهر في الكنيسة في كلّ حين. وهنا أيضًا يكون الحكم لله، إذ إنّ **الرّوح القدس** هو الذي يُلمهم في القضاء.

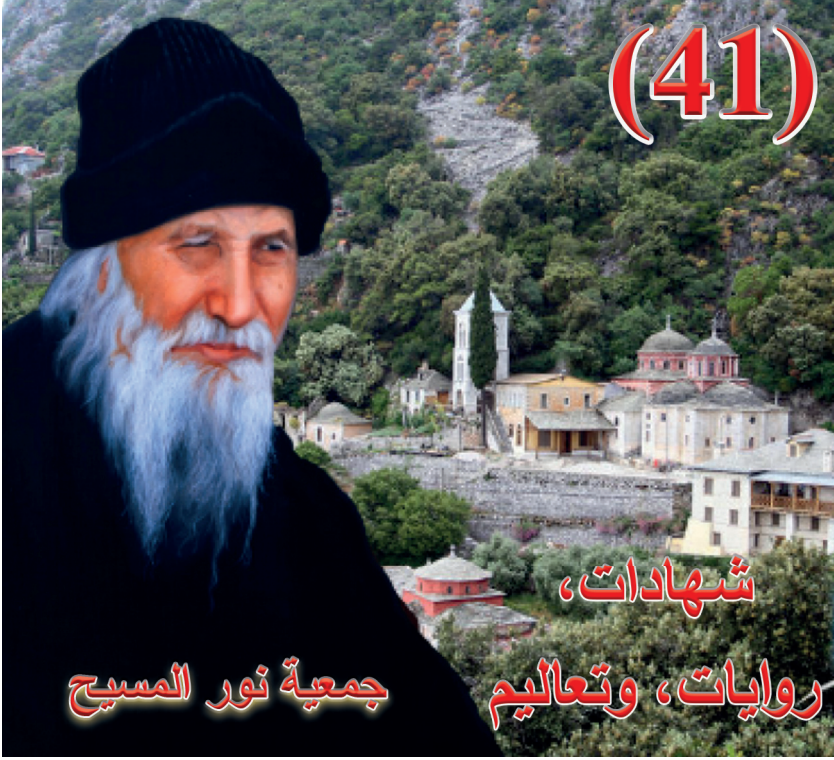
أمّا القراءتان من القدّاس الإلهيّ فتنقلاننا من ظلّ العهد القديم وصورته إلى حقيقة العهد الجديد. **فالقراءة الأولى من سفر الأعمال، والثانية من إنجيل يوحنا**، بحسب نظام قراءة هذين الكتابين في زمن البنديكستاري. ففي الأولى يستدعي بولس شيوخ كنيسة أفسس إلى ميلتس، إذ كان يمرّ منها عائداً إلى أورشليم.

وكانت كلماته نبويّة، تتعلّق بمستقبل الكنيسة ومسؤوليّة

الرعاة عن صيانة طيع المسيح. وهذه الكلمات نفسها صارت شعارًا للآباء، وأضمرت فيهم السهر الذي لا ينام من أجل الإيمان المستقيم وسلامة كنيسة المسيح: «اخترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعيّة التي أقامكم الرّوح القدس فيها أساقفةً، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. لأنّي أعلمُ هذا: أنّه بعدَ ذهابي سيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذُنَابٌ خَاطِفَةٌ لَا تُشْفِقُ عَلَى الرعيّة. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُتَوَيّةٍ لِيَحْتَذِبُوا التلاميذَ ورآءَهُمْ. لِذَلِكَ اسهَرُوا... وَالآنَ اسْتَوْدِعْكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ» (أعمال ٢٠: ٢٨-٣٢).

وأخيرًا، فإنّ مقطع الإنجيل، من يوحنا (١٧: ١-٣)، وهو جزءٌ من صلاة المسيح الكهنوتيّة، يُظهر الربّ متضرّعًا من أجل تلاميذه، من أجل كنيسته. هؤلاء هم الذين أعطاهم له الآب، والذين، فيما هو ماضٍ، سيبقون هم في العالم. وهؤلاء يحتاجون إلى حماية الآب لكي يثبتوا أمناء لاسم الله، ولكي يكونوا «واحدًا» كما أنّ الابن مع الآب، فتكون شهادتهم في العالم شهادةً حقيقيّة. لقد حفظهم المسيح. غير أنّ واحدًا فقط هلك، وهو ابن الهلاك. وكذلك في حياة الكنيسة وُجد أبناء هلاك. أمّا الآباء فقد حفظوا اسم الله، وصانوا وحدة إيمان الكنيسة.



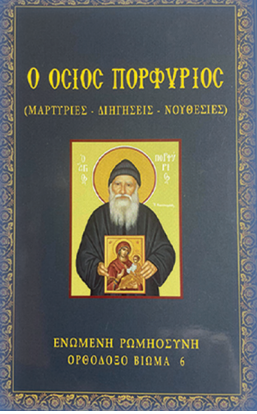


القديس پورفيروس الرائي

كافسوكاليفيا

جبل آثوس

اليونان



شهادات،
روايات، وتعاليم
جمعية نور المسيح

العجيب الثانية والعشرون: من عجائب القديس بورفيروس

«لقد رأها قبل سنتين»

شهادة يوحنا بيرتوس، اختصاصي في الاقتصاد،

من بيغاديا عاصمة جزيرة كارباتوس:

في سنة ١٩٨٧ كنت قد زرت جبل آثوس المقدس للمرة الأولى، لأن قلقت روحياً شديداً كان قد بدأ يثور في داخلي، فكنت أذهب إلى الأديرة، وكنت أرغب في التحدث مع شيوخ رهبان. وكان أحد أقبائي، الذي كان قد أدخل إلى بوليكلينيكي أثينا (إلى مستشفى في أثينا)، قد حدثني عن الشيخ بورفيروس، بكونه شخصية مقدسة، ومتمتعاً بموهبة البصيرة الروحية، لأنه كشف له هو أيضاً أمراً خفياً من خفاياها. كما أخبرني أيضاً كيف كان يُظهر محبة كبيرة للمرضى، فيعزيهم، ويعتني بهم، ويسمع اعترافهم، وكان جميع الناس هناك يحبونه كثيراً. وهكذا شجعنا قريبي هذا على أن نزوره في ميليسي التي تبعد ٣٢ كيلومتراً عن أثينا.

كان ذلك في أواخر شهر تشرين الأول سنة ١٩٨٩، يوم جمعة أو سبت، حين ذهبت إلى ميليسي مع أحد أصدقائي. وكنت يومئذ طالباً في المدرسة العليا للاقتصاد والتجارة (ΑΣΟΕ). ولما وصلنا، رأينا جمعاً غفيراً جداً من الناس ينتظرون، فأصبنا بخيبة أمل. ثم التقطنا صورة تذكارية، وبعد قليل قالت راهبة: «قال الشيخ: ليتقدم أولاً الشبان اللذان أتيا من الجزيرة البعيدة». أما نحن فلم نهض، لأننا كنا نظن أن المقصودين هما شخصان آخران.

وبعدما أعادت الراهبة القول، ولم يكن أحدٌ ينهض، نهضنا نحن، وسألنا إن كان هناك شخص آخر، وفي النهاية دخلنا إلى الداخل، لأننا كنا نحن وحدنا قد جئنا جواً من جزيرة كارباتوس.

وكانت يدها مغطّاتين بلقائف من القماش، وحين انحنينا لأخذ بركته، سحبهما. ثم حدثنا عن ثلاثة أمور: عن المحبة، وعن التواصل، وعن

أنه يجب علينا أن نحضر إلى الكنيسة كل يوم أحد.

وقال لي أنا: انتبه، انتبه، انتبه، لأنك ستتألم كثيراً جداً من جهة صحتك. لكنك ستبلغ الشيخوخة، وستتألم، غير أنك ستنجو وتحتمل. وبعد قليل قال لي أيضاً:

— سيحدث شيء في حياتك، لكنه سيمر من دون أن تشعر به.

— ماذا سيكون؟ هل سأمر بمرض؟ سألته.

— لا، لا، أنت محظوظ، ستنجو...

وحين قمنا لنصرف، عدت إليه بقلق، وسألته من جديد: ما هذا الذي سيحدث؟ وكانت حيرتي ظاهرة. فأجابني:

«له علاقة بطائرة. ستنجو، وستكون محظوظاً... اذهب، اذهب الآن.»

في ٥ شباط سنة ١٩٩١، حين كنت ضابطاً متدرّباً في سلاح الجو الحربي، كانت قد تقرررت رحلة بطائرة C130 من إفسينا إلى خانيا، ثم إلى هيراكليون في جزيرة كريت، لأسبابٍ تدريجية. وفجأة، وبينما كنت أنا أيضاً على وشك أن أسافر جواً، تغير البرنامج، فاستدعاني ضابط جوي برتبة رائد وقال لي: «أيها المتدرب، خذ هذه المهمة:

اختر خمسة جنودٍ من سلاح الجو واشطبهم من لائحة الصعود إلى الطائرة. أنتم لن تأتوا معنا». وكانت الطائرة ستوجه أولاً إلى فولوس، حيث كانوا قد رتبوا أن يأخذوا منها أيضاً ستة أشخاص آخرين (من الجنود الجويين)، ثم بعد ذلك ينطلقون إلى خانيا وهيراكليون.

وقد حزنْتُ كثيراً، لأنني كنتُ بعد المناورة في كريت سأغادر إلى كارباتوس، إلى مسقط رأسي. فاخترت خمسة جنودٍ جويين على أساس أن يكونوا من المناطق الحدودية. ومع ذلك، بادرت فوراً إلى القيام بمحاولاتٍ لكي أدرج أنا أيضاً في الرحلة. وتحدثت على انفراد، وتوسّلتُ إلى الطيار القائد لطائرة الـ C130، السيد يوحنا مينييا. لكني، وأنا حزين، رأيتُ الطائرة وهي تُقْلَع.

كان فصل الشتاء، وكان الطقس سيئاً جداً، من ثلوج وضبابٍ وغير ذلك. وكان القائد الطيار شديداً الحبرة، إذ كان يقوم بهذه الرحلة مرتين

تبدل اسمه في اللحظة الأخيرة من لائحة الصعود، فنجنا. وتُظهر هذه الشهادة **موهبة البصيرة الروحية التي منحها الله للقديس**، لا كأمرٍ استعراضيٍّ، بل كنعمةٍ مرتبطة بالمحبة والرعاية والتنبية الأبوي. واللافت أنّ الشيخ، قبل أن يكشف الأمر الآتي، شدّد أولاً على **المحبة والتواضع والمواظبة على الكنيسة**، لأنّ القديسين لا يجعلون محور كلامهم العجائب، بل **خلاص الإنسان وحياته مع الله**.



على الأقلّ كلّ أسبوع، وعلى مدى سنوات. لكنّه بالغ في تقدير قدراته، وحاول أن يسلك طريقاً أقصر، وبسبب الضباب سقطت الطائرة في النهاية على جبل أوثريس في إيفيا. وللأسف، لم تتمكن جميع فرق البحث عن طائرة C130 من العثور عليها بسبب كثافة الضباب. ولم يعثروا عليها إلا بعد **أربعة أيّام**، في موضع سقوطها.

وكان مجموع القتلى **٦٣**: سبعة وخمسين من الجنود الجويين، وستّة من العسكريين الدائمين، أي من الضباط وضباط الصفّ. أمّا الذين كانوا قد بقوا أحياء بعد السقوط، فقد وُجدوا وقد افترستهم نبات آوى. ولم ينج أحد.

منحتنا الخدمة العسكرية إجازةً مرضيةً لمدة **شهر كامل**، وكُنّا نراجع مستشفى القوات الجوية العام رقم **251 (TNA)** من أجل الدعم النفسي. وفي كلّ سنة، في مثل هذا اليوم، أي **في الخامس من شباط**، نتصل نحن الستّة الذين خرجنا من الرحلة في اللحظة الأخيرة، ونتذكّر تلك الحادثة المحزنة. أمّا أنا، فأذكر على وجه خاصّ **القديس بورفيروس**، الذي كان قد **«ألهم»** بنعمة الله هذه الأحداث **قبل سنتين**.

وقد وقع كلّ ثقل المسؤولية على مراقب الحركة الجوية في فولوس، السيّد **إ. ت**. وكان جميع أقرباء الضحايا يشتمونه في المحاكم. وفي النهاية، في اليوم الذي صدر فيه الحكم ببراءته، أقدم هو على الانتحار. وكان الضحية **الرابعة والستين** في هذه المأساة.

بعد سنتين تقريباً، تحقّق ما أعلنه **القديس بورفيروس** بصورة لافتة. فلم يكن كلامه عامّاً أو غامضاً، بل أشار بوضوح إلى أمرٍ يتعلق بالطائرة، وأكد أنّ الشاهد سينجو. وهكذا، عندما وقع حادث الطائرة فعلاً،



«تعال - صلاة للقديس سمعان اللاهوتي الحديث»

أو أن نعرف جوهرة وخصائصه.
تعال، أيها الفرح الأبدي، تعال،
أيها الإكليل الذي لا يدبّل،
تعال، أيها الأرجوان الملكي
المتألّق.

تعال، أيها الحزام الكريستالي المرصع بالماس،
تعال، أيها الحذاء غير المدنوّ منه، تعال، أيها اللباس الملكي،
وتلك اليد الملكية حقّاً!

تعال، أنت الذي اشتتهته نفسي التّعيسة وما زالت تشتهيك،
تعال، أنت الواحد إليّ أنا الواحد، لأنك ترى أنني وحيد!
تعال، أنت الذي ميّزني عن الجميع وجعلتني فريداً على الأرض.
تعال، أنت الذي صرت شوق نفسي وأهلتي أن أشتهيك،
أنت الذي لا يدني منك إطلاقاً!

تعال، يا نفسي وحياتي، تعال، يا عزاء نفسي المتواضعة.
تعال، يا فرجي ومجدي وبعيبي الذي لا نهاية له.

تعال، أيها النور الحقيقي، تعال، أيّتها الحياة الأبديّة.
تعال، أيها السرّ المُستتر، أيّتها الكنز الذي لا اسم له،
ذلك الأمر الذي لا يُنطق به، تلك الوجهة التي لا تُدرّك،
الإبتهاج الأبدي، النور الذي لا يغيّب.
تعال، أيّتها الرجاء الحقيقي للذين سيخْلصون.
تعال، أيّتها النهوض للساقطين، تعال، أيّتها القيامة للأَمْوات.
تعال، أيّتها القوي الذي تخلق وتعيد الخلق وتحوّل كلّ شيءٍ بمجرّد
مشيبتك!

تعال، أيّها غير المنظور، غير الملموس، غير المُدرّك بالحواسّ.
تعال، أنت الذي تبقى ثابتاً لا يتغيّر،
ومع ذلك، في كلّ لحظة تتحرّك بكاملك،
لتأتي إلينا، نحن الرّاقدين في الجحيم،
أنت الذي أنت فوق جميع السّمّوات.

تعال، أيّتها الاسم المُشتهى، المُمجد على كلّ لسان،
الذي نعجز عن أن نصفه كما هو،

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الَّذِي تَقُولُ: «أَنَا وَأَنَا»؟



فَمَاذَا تَعْتَبِرُ نَفْسَكَ، إِذَا،
وَتَتَمَسَّكَ بِهَذَا «الْأَنَا»؟

Σάν τί θεωρείς
λοιπόν τόν εαυτόν σου
και κρατάς αυτό τό ΕΓΩ.

وهذا هو الواقع الذي
يصير إليه الإنسان عند
ساعة انتقاله: تراباً.

شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الَّذِي تَقُولُ: «أَنَا وَأَنَا»؟

مَنْ أَيْنَ نَزَلْتَ؟

مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟

أَلَمْ تَأْتِ إِلَى الْعَالَمِ مِنَ الْعَدَمِ؟

أَلَمْ يَجْبُلِكَ اللَّهُ مِنْ قَبْضَةِ تُرَابٍ؟

وَمَعَ ذَلِكَ، مَاذَا تَطْنُ أَنْكَ سَتَصِيرُ بَعْدَ مَوْتِكَ؟

تُرَابًا!

فَمَاذَا تَعْتَبِرُ نَفْسَكَ، إِذَا، وَتَتَمَسَّكَ بِهَذَا «الْأَنَا»؟

«لَأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (سفر التكوين ٣: ١٩). هذه الكلمة ليست مجرد تذكير بفساد الجسد، بل هي إعلان للحقيقة بشأن الوجود الإنساني. فالإنسان لا يملك شيئاً من ذاته، إلا ما أخذه من الله. الجسد من التراب، والنسمة من الخالق، والحياة عطية وفرصة للتوبة. وحين ينفصل الذهن عن ذكر الله، يولد ذلك «الأنا» المتكبر، الذي يرتفع كعرش كاذب داخل القلب.

ويهتف المرتل: «الإنسانُ مثلُ العُشْبِ أَيَّامُهُ، كَزَهْرِ الحَقْلِ كَذَلِكَ يُزْهِرُ» (مزمو ١٠٢: ١٥). كما أن الزهرة تفتتح ثم تذبل سريعاً، كذلك يزول مجد الإنسان. فالذي يسند رجاءه إلى الزائل، إنما يبني على الرمل. أما الذي يتذكر أصله ونهايته، فهو يجد الاتضاع الحقيقي، الذي يلد نعمة الله.

وتشهد أعمال الرسل أن: «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال ١٧: ٢٨). فالإنسان ليس مكثفياً بذاته، بل إن وجوده قائم على عناية الله على الدوام. وحين ينسى المخلوق خالقه، يسلم نفسه إلى ضلال الاستقلال والاكتفاء الذاتي. ومن هذا النسيان تولد محبة الذات، وهي أصل كل سقوط.

ويعلم القديس إسحق السوري أن من عرف مرض طبيعته، فقد بلغ إلى كمال الاتضاع. لأن معرفة الضعف لا تقود إلى اليأس، بل إلى الرجوع إلى الله، الذي «يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً» (١ بطرس ٥: ٥).

إن ذكر الموت ليس خوفاً، بل نور. فهو يكشف الحقيقة، ويبدد وهم الأنانية، ويفتح القلب للتوبة. فالذي يتأمل أنه من ترابٍ أخذ وإلى التراب يعود، لا يتكبر، بل يشكر الله على كل لحظة حياة. وعندئذ يصمت «الأنا»، لكي يُسْمَعَ في داخله صوت النعمة.

إن قيمة الإنسان الحقيقية لا تكمن في المجد الأرضي، بل في الشركة مع الله. فعندما يتضع الإنسان بإرادته، يرتفع روحياً. وعندما يترك «الأنا» الكاذب، يجد السلام الحقيقي. لأن الاتضاع يجتذب الحضور الإلهي، ويجعل القلب مسكناً للنعمة.

إن إدراك ضالة الإنسان لا يقوده إلى اليأس، بل إلى الشكر. لأن الله خلق الإنسان من تراب، لكنه قصده للحياة الأبدية. فالاتضاع، إذًا، ليس انتقاصاً من قيمة الإنسان، بل إظهاراً لمجده الحقيقي، الكائن في علاقته بخالقه.

من يحفظ في داخله ذكر أصله ونهايته، لا تخذعه باطلائ العالم. بل يحيا بتميز، وبخوفٍ الله، وبرجاء الخلاص. وعندئذ تصير الحياة مسيرة عودة إلى ذاك الذي منه خرج..

الاتضاع يفتح القلب لنعمة الله، ويقود الإنسان من الزمني إلى الأبدى.

المصادر:

القديس إسحق السوري، المقالات النسكية

الكتاب المقدس: التكوين ٣: ١٩ - مزمو ١٠٢: ١٥

أعمال الرسل ١٧: ٢٨ - ١ بطرس ٥: ٥

تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

(51)

إلى أهل كورنثوس

القديس يوحنا الذهبي الفم



د. سعيد حكيم يعقوب

القديس بولس الرسول

الإصحاح السادس:

العظة السابعة عشر: (١ كو ٦: ١٢-١٤) - تنمة

«وَاللَّهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبِّ، وَسَيَقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ.» (١ كو ٦: ١٤).

١) إذا ينبغي ألا يتشكك أحدٌ في القيامة وإن تشكك أحد، فليفكر في الأشياء الكثيرة التي خلقها الله من العدم، وليقبل برهان ودليل القيامة، لأن ما حدث بالفعل هو أمر عجيب للغاية ويستحق التوقف أمامه بانبهار. انتبه، فالله بعدما أخذ ترابًا، خلق منه الإنسان، بينما لم يكن هناك تراب قبل ذلك. إذا كيف صار التراب إنسانًا؟ وكيف خلقت الأرض، بينما لم تكن موجودة، وكيف خلقت منها بعد ذلك كل شيء، كل أجناس الحيوانات غير العاقلة، البذور، النباتات، ودون أن يسبق ذلك عملية الولادة للكائنات الحية ودون أن تسقط الأمطار التي تساهم في نمو البذور، ودون أن توجد زراعة أو فلاحه ودون أن تساهم في هذه الولادات رضاعة أو تربية ولا حرث للأرض ولا أي شيء آخر. ولأجل هذا السبب تحديدًا خلق الله في البداية أجناسًا كثيرة جدًا، ونباتات، وحيوانات غير عاقلة من تراب لا روح ولا حس له، لكي يعلمك من سمائه، معنى القيامة. لأن الخلق بهذه الطريقة يعتبر أكثر دهشة وإعجابًا من القيامة. فإن يشعل أحد سراجًا، لا يتساوى مع أن يُولد أو يُخلق نارًا من العدم، وأن يدعم أو يقوي أحد منزلًا منهارًا، لا يتساوى مع بناء منزل من العدم، أي أنه في الحالة الأولى توجد دائمًا المادة التي يُخلق منها، أما في الحالة الثانية فلا يوجد شيء على الإطلاق. ولأجل هذا خلق الله أولًا ما هو أكثر صعوبة، لكي تقبل بعد ذلك ما هو أكثر سهولة.

لقد تكلمت عن ما هو أكثر صعوبة وهذا لا يُنسب بالطبع على الله، بل هو أكثر صعوبة وفقًا لقدراتنا العقلية، لأنه لا يوجد شيء عسير على الله. بل مثل الرسام الذي يستطيع أن يرسم صورة ما، سيرسم بالتأكيد صورًا عديدة وبسهولة، هكذا هو أمر سهل جدًا بالنسبة لله أن يخلق عوالم كثيرة ولا حصر لها. وربما كما هو سهل بالنسبة لك أن تفكر أو

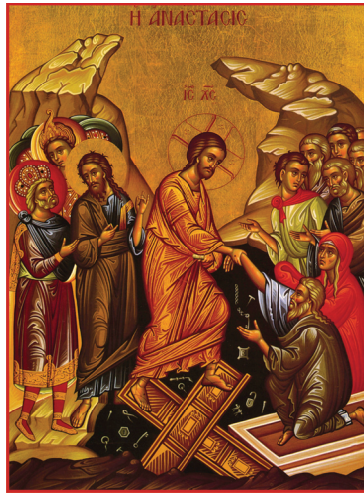
تأمل في مدينة وفي عوالم لا حصر لها، هكذا هو سهل بالنسبة لله أن يخلقها كلها وربما هو أكثر سهولة من مجرد التفكير، لأنك تستغرق وقتًا ولو قليلًا في التفكير، أمّا الله فلا حاجة له إلى وقت، بل كما أن الأحجار هي أكثر ثقلًا من الطيور الخفيفة، هكذا عقلنا هو أقل من أن يستوعب سرعة الله في الخلق.

هل تدهش وتبهر بقوة الخالق وعمله في الأرض؟ فكّر وتأمل أيضًا في كيفية خلق السماء من العدم، كيف خلقت النجوم التي لا حصر لها، كيف خلقت الشمس، كيف خلقت القمر، وكل هذا خلقت من العدم. أيضًا أخبرني كيف جعل جميع المخلوقات تستقيم بعد الخلق؟ على أي قاعدة وعلى أي أرض تقف هذه الخلائق؟ وما الذي يوجد بعد الأرض؟ وما الذي يوجد أسفل طبقة الأرض؟ أرايت إلى أي مدى يمكن أن يصل تفكيرنا وعقلنا إلى حالة من الدوار والتزنج، إن لم نلجأ سريعًا إلى الإيمان وإلى قوة الخالق غير المدركة؟ وإن أردت أن تُفكّر في هذه الأمور، إنطلاقًا من الأعمال التي يُياشُرُهَا الإنسان، فَسَيُمكنك في لحظات قليلة أن تُطلق العنانَ لِفِكْرِكَ لِئُحَلِّقَ (في عظمة الله).

وقد يقول أحد، عن أي أعمال إنسانية تتحدث؟ ألسنت ترى صانعي الفخار، كيف يعيدون تشكيل الآناء الذي تهشم وصار لا شكل له؟ ألا ترى أولئك الذين يلقون بالطين الذي يحتوي على المعادن في المسبك وكيف يستخرجون منه ذهبًا وحديدًا ونحاسًا؟ ألا ترى أيضًا آخرين ممن يصنعون الزجاج وكيف يحولون الرمال إلى ألواح من الزجاج الشفاف؟ وهل أشير إلى أصحاب حرفه الصباغة، أولئك الذين يصبغون الملابس الحمراء وكيف أنّ ذلك الذي صبغه يعرضها بلون مختلف عما كانت عليه قبل صباغتها؟ وهل أشير إلى ولادتنا؟ أليس الأمر في البداية هو بذرة صغيرة غير واضحة الشكل، تحترق الرحم الذي سيستقبلها؟ كيف أخذت هذا الشكل الكبير؟ وما هو القمح؟ ألا يُلقى في الأرض كبذرة؟ وبعد زراعتها، ألا تتعفن داخل التربة؟ كيف تنشأ وتنمو السنابل، وتنتج أزهارًا وصيدانًا وغير ذلك، ألا تعطي بذرة تين صغيرة بعدما تسقط على الأرض، ثمارة كثيرة وتكون

بالقيامة. أي أن الأمر يقود للآخر، عدم الإيمان يقود إلى الشر، والنشر يقود إلى عدم الإيمان. أي أنه عندما يكون الضمير مملوءًا بالشر، يخاف ويرتعب من العقاب الأبدي، مادام أنه لا يريد أن يتعزى بتحوُّله نحو الصلاح، لذلك يرغب في أن يستريح من خلال عدم الإيمان. ولأنك تقول إنه لا ليس هناك قيامة ولا دينونة، بناءً على ذلك سيقول ذلك ولا أنا سأعطي حساباً عن زلاتي وشروبي. ولكن ماذا يقول المسيح له المجد؟: «تَضَلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ.» (متى ٢٢: ٢٩).

ما كان الله ليخلق كل هذه الخلائق، لو لم يكن ينوي أن يقيمنا، بل ولتركتنا في حالة تحلل وفناء تام، وما كان ليبسط هذه السماء ولا خلق الأرض من أسفل ولا خلق كل الأشياء الأخرى، لخدمة هذه الحياة القصيرة فقط. وإن كان قد خلق كل هذا لأجل هذه الحياة الحاضرة، فهل تتصور أن هناك شيئاً لن يفعله لأجل الحياة الأبدية؟ ولكن إن لم يكن هناك حياة أبدية، فنحن لأجل هذا السبب، نكون غير مستحقين بالأكثر لكل ما خُلق لأجلنا، أي السماء والأرض والبحر والأنهار، بل وتكون بعض الحيوانات هي أكثر بقاءً واستمراراً منا، مثل بعض أجناس الفيلة، وحيوانات أخرى كثيرة، تنعم بالحياة الحاضرة سنوات عديدة. إن حياتنا قصيرة وسريعة، أما حياة الحيوانات فليست هكذا، بل طويلة وربما لا تتعرض للضيق وهي خالية من الاهتمامات أو الانشغالات.



ماذا إذا؟ هل جعل العبيد أسمى من السادة؟ أيها الإنسان أرجوك ألا تفكر هكذا ولا تبدو فقيراً في التفكير، ولا تتجاهل غنى الله، وستدرك - وهذا حق - أن الله قد أراد منذ البداية، أن يجعلك خالداً أبدياً أو غير مائت، ولكنك لم تُرد.

بالحقيقة كان شكل الحياة في جنة عدن برهاناً على الخلود. أي الحديث مع الله، التحرر من الحزن ومن الانشغالات ومن الأتعاب والمشقات ومن كل العناصر الفانية. لأن آدم لم يكن له احتياجاً لملبس ولا لمسكن ولا لأي شيء آخر من هذا القبيل، بل ربما كان شبيهاً بالملائكة، وكثير من أمور الحياة الأبدية كان يعرفها من ذي قبل، وكان يمتلك الكثير من الحكمة الكاملة. وما صنعه الله سرّاً فيما يتعلق بخلق حواء، هذا أيضاً قد عرفه، ولذلك قال: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَحَظٌّ مِنْ لَحْمِي» (تك ٢: ٢٣). أما عن الألم فقد نشأ فيما بعد، وأيضاً التعب والعرق والإحساس بالحجل والخوف والحرمان من الدالة أمام الله، بينما قبل السقوط لم يكن هناك حزن ولا أنياباً ولا تنهداً وحسرة. إلا أن آدم لم يبق في هذه الحالة من الكرامة.

يتبع في العدد القادم

توزع هذه المجلة مجاناً

جذراً وجذعاً كبيراً؟ وبناءً على ذلك، فأنت تقبل كل هذا ولا تبحث عنه كثيراً، فقط تطلب من الله التوضيح، لأنه سَنَكُلُ جسدنا على هذا النحو؟ وكيف يَكُونُ هَكَذَا تَفْكِيرٌ؟ إِنَّهُ يُبَيِّرُ الصَّحِكَ.

٤) هذه الأمور وغيرها أتكلم عنها وأتوجه بها إلى الوثنيين، لأنه بالنسبة للمؤمنين، فإن الأمر لا يحتاج ولا حتى لمجرد الكلام، أي إن كنت تود أن تتفحص كثيراً في أعمال الله وفي أي شيء يمتاز ويتميز به الله عن البشر، فلتلاحظ أناساً كثيرين لم تتعرض إليهم ولم تبحث فيما يخصهم. وإن كنا نتصرف هكذا مع البشر، فبالأكثر جداً لا ينبغي أن نبحث كثيراً في فهم حكمة الله ولا نطلب براهين منطقية أولاً؛ لأن الله الذي أعلن لنا ذاته يستحق كل تصديق وإيمان.

وثانياً: لأن هذه الموضوعات لا تقبل البحث العقلي، بمعنى أن الله ليس ضعيفاً بهذا القدر حتى يصنع مثل هذه الأمور فقط، والتي من الممكن أن تصير مُدركة لذهنك الضعيف. أي إن كنت غير قادر على فهم عمل في لفنان ما، فبالأكثر جداً من غير الممكن أن تدرك هذا العمل المبدع والكامل لله.

إذاً لا تتشككوا في القيامة، لأنكم بهذه الشكوك ستكونون بعيدين جداً عن الرجاء في نوال خيرات الحياة الأبدية. لكن ما هي الحجة المقبولة والمعقولة التي يقدمها أولئك الذين يعارضون، وربما من الأفضل أن نقول ما هي حجبتهم الغيبية؟ وقد يقول أحد، عندما يختلط الجسد بالتراب ويصير تراباً، وينتقل التراب إلى مكان آخر، ترى كيف سيقوم؟ هذا الأمر يبدو غير مفهوم بالنسبة لك، ولكن ليس هو هكذا بالنسبة للعين التي لا تنام، لأن كل شيء مكشوف وعريان وواضح أمام الله. ومن ناحية أخرى أنت لا تستطيع أن تميز بين الأجزاء المختلفة عندما تختلط وتمتزج فيما بينها، لكن الله يعرفها كلها. على سبيل المثال أنت لا تعرف ما يوجد في قلب قريبك أو ما يدور بذهنه، لكن الله يعرف كل هذه الأفكار. فإن كنت تجهل كيف يقيم الله الأموات، فإنك لا تؤمن حتى بأنه يقيم ولن تؤمن بأنه يعرف أفكارنا، لأنه ولا حتى هذه الأفكار هي واضحة أو ظاهرة. لكن فيما يتعلق بالجسد، فإن مادته مرئية، وإن كان الجسد يتحلل إلا أن الأفكار غير مرئية. فإن كان ذلك الذي يعرف ما هو غير مرئي بكل دقة، ألا يرى الأمور غير المنظورة وسيحلل الجسد بسهولة؟ أعتقد أن هذا واضح كل الوضوح.

لا تتشكك إذاً في القيامة، لأن هذا التفكير هو تفكير شيطاني، وهنا يقوم الشيطان بمحاولات كبيرة، ليس فقط ليثير الشكوك في موضوع القيامة، بل لكي تبطل كل أعمال الفضيلة، بمعنى أن الإنسان الذي لا يرتجي قيامته ولا يتوقع أن يعطي حساباً عن أعماله، لن يهتم مبدئياً بموضوع الفضيلة، وحين لا يهتم بالفضيلة، سيعلن عدم إيمانه فيما بعد

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL48012726000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزز المسؤول:

هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح